# روح مُحبّات

رواية

فؤاد قنديل




# مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

## مكتبة الأسرة

## برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة الأعمال الإبداعية)

روح مُحبَّات
رواية
فؤاد قنديل

الغلاف
والإشراف الفنى
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفني والتنفيذ:
صبرى عبدالواحد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

# روح مُحبّات

رواية

**لوحة الغلاف**

**اسم العمل الفنى: اغنية الديك**

**التقنية: ألوان زيتية على كرتون**

**التقنية: ٤٢ × ٢٨ سم**

**حامد ندا (١٩٢٤ - ١٩٩٠)**

فنان مصرى و واحد من نجوم الجيل الثالث الذى تمرد على الاتجاهات التقليدية، وبدأ نشاطه فى جماعة الفن المعاصر، واهتم بموضوع الحياة الشعبية وما يهيمن عليها من خرافات متأثرًا بالفنون الأفريقية والفن المصرى القديم، وهو يمزج بين الرؤية السيريالية والفكاهة والسخرية، مصورًا موضوعاته بطابع بسيط وعناصر خشنة المظهر تعبر أصدق تعبير عن خصوصية الملامح المصرية، أدرج أسم الفنان فى موسوعة لاروس الفرنسية، وموسوعة الفن المعاصر لاكونسيتانس الألمانية، وله مقتنيات بمتحف الفن المصرى الحديث ووزارة الخارجية ومتحف الفنون الجميلة، ومجموعات خاصة فى ميلانو ودمشق والكويت وأسبانيا وباريس وأسطنبول وألمانيا وبروكسل وبراغ.

**محمود الهندى**

## على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً في المكتبة العربية وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيرى على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر في العالم العربى أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافى أسماء رواد فى مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص، ها هى تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالى فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعى بعد أن حققت فى العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التى أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام فى «مكتبة الأسرة».. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبته وراعيته السيدة العظيمة/ **سوزان مبارك**..

د. سمير سرحان

# إهـــداء

إلى روح المجاهد العظيم ..

الذى أرى وجهه النبيل فى كل قطرة مياه، كما أراه محلقاً فوق المصانع والمزارع والجامعات والمستشفيات ومعاهد العلم والثقافة.. رمز النضال والمقاومة..

من قال دائما لا.. للاستغلال والاستعمار والظلم والفُرقة والتخلف والرجعية والسلبية والخيانة والادعاء والزيف.

إليه.. إلى قائد مسيرة التحرر من العبودية فى العالم الثالث.. من كل قلبى وعقلى، ومع كل دقيقة من عمرى تحيةً وتقديراً، ما دمتُ حيا.. أذكره وأعترف أنه ظلم نفسه أولاً وظلمنا بإغفاله حرية الصحافة.. والعصمة لا تكون إلا لنبى.. لقد جاهدت واجتهدت فأصبت وفى جنة الخلد مثواك، فانعم برحمة الله ومغفرته.

**فــؤاد**

# تقديم

مرت فكرة الإنسان عن الإله بخمسة أطوار، كان أحدها المذهب الطوطمي، حيث تتخذ القبيلة فيه طائرا أو حيوانا معبودا لها، وراعيا يحميها من غضب الطبيعة وعدوان البشر أو الحيوان وكان السائد في الأذهان أن هذا المذهب يقضي بضرورة الاعتقاد أن القبيلة وطوطمها - الذي اختارته - من طبيعة واحدة.. أي أن أسلاف القبيلة ترتد إلى هذا الحيوان أو الطائر.

فإذا اتخذت قبيلة ما الغراب طوطما لها، فذلك لأن غرابا التقط قوقعة، وأن القوقعة تحولت إلى امرأة.. واقعها الغراب، ومن هذا القران انحدرت العشيرة.

لم يكن الانتساب إلى الطوطم - طائرا كان أو حيوانا - ينفي الطبيعة الإنسانية للفرد. «الغصن الذهبي»

عذراً.. فكلما نبت في خاطري شعور بالميل نحو الفطرة يتمرد العقل، يوقد نار الجدل حول العلاقة بينهما.. العقل والفطرة.. المدنية والبدائية.. الفكر والغريزة.

تتنابني الحيرة، إلى أيهما أنحاز.. فأنا هما معا وكلاهما يأبى أن أكون كذلك.

ف. ق

# ( ١ )

عـاد رشـوان بعـد الدفن فـوجـد ديكه الذى يماثله فى الطول واقـفـا كالحارس خلف الباب. ابتهج قلبه للمشهد. جال بخاطره أنه إذا كان قد خسر ما يزيد على ثلاثين دجاجة وديكاً هى هدية حماته السنوية، فقد عوّضه الله بهذا الديك الذى أخلى له مكانا رحبا فى قلبه.. حمد الله على ما رزق وأعطى. ربت ظهر الديك مضى إلى بيته.. حكى لمحبات مصيبة الشيخ إبراهيم والعبء الذى ورثه عن وفاة زوجته.. تسعة أولاد فى عين العدو.

قالت: الله يرزقهم

قال: المشكلة ليست الرزق.. المشكلة الخدمة

سحبت الطبلية من تحت السرير وحطت عليها أطباق العشاء.. الجبن والعسل.. البيض العائم فى السمن.. الجرجير والخيار.

أكلا بشهية وسألها: هل بقى شىء من أم على؟

ردت بلهفة: نعم، فزت من مطرحها فأحضرت طبقا به بعض الرقاق مغموسا فى اللبن.. كان رشوان يحبه ويطلبه دائما.

استأنفا بعد العشاء حديثهما عن الشيخ ابراهيم وأولاده. كانت محبات لاتزال تصر على أنها ليست مشكلة، ويؤكد رشوان أنها مشكلة مادامت الزوجة قد رحلت وعلى الشيخ ابراهيم اليوم وقبل الغد أن يتزوج.. ولابد أن يتزوج أى امرأة لترعى وتخدم أولاده.. وقد لا ترعاهم ولا تخدمهم وتبدأ مشكلة قبولهم لها.. وحكايات لا تنتهى ومشاكل متجددة.

قالت محبات: أمر الله

اكتشف رشوان فجأة أنه كان يخوض فيما لا طائل من ورائه.. نفذ القضاء ورحلت الزوجة وبقى الأولاد ولم يبك الشيخ ابراهيم على الراحلة ولكنه كان يبكى على..

قبل أن يدلف رشوان إلى السرير، ألقى خلال النافذة نظرة على الدار وما حولها.. لمح الديك يتمشى فى الممر المحيط بالبيت، تابعه لحظات وهو يرى فيه الخفير المنتظر.. كان الديك يرفع رأسه بين الحين والحين ويطل من فوق السور على الطرقات والحقول التى غطتها خيمة الليل المعتمة.

همس فى نبرة رضا: ديك عجيب صحيح

سألته محبات: هل لاحظت شيئا؟

قال: لم أره نائما أبدا.. ديك النهار والليل

سألته: هل رأيته الآن؟

أجابها وهو يجذب الستارة: يتمشى حول البيت فى هدوء وثقة.

قالت: يهيأ لى أنه بنى آدم مسخوط

ضحك ساخرا منها

- ماذا تقولين يا محبات.. هل تصدقين هذه الخرافات؟

- ليست خرافات. قالت لنا أمهاتنا أن جنية من جنيات البحر خرجت إلى البر واختطفت شابا وتزوجته، وبعد أن شبعت منه خنقته وأخرجت بعد شهور إلى البر جثته، وبعد أيام أخذت غيره وتزوجته.

- صدقينى.. كلها خرافات.

تنبهت فجأة أنها أخطأت بقولها له إنه بنى آدم، إن قولها هذا يفتح له الباب للشك.. قررت ألا تستمر فى دعواها.. تراجعت بدهاء مستسلمة لرأيه.

- يمكن صحيح كانت خرافات حكاها الناس للناس وانتقلت إلينا..

أسرع قائلا: مؤكد.. والأهم من ذلك أنه لو كان مسخوطاً سوف يبقى على حاله، أما هذا فقد جاءنا صغيرا ثم كبر أمامنا وتضخم.. أليس كذلك؟

زلزل كلامه الأخير قناعتها بأنه مسخوط، لكنها تذكرت قول الدكتور رمزى، إنه لم يقرأ أو يسمع عن مثل هذا الديك.. أنبأها رشوان أن العمدة يود الحضور لرؤية الديك.

- هل أنت الذى حدثته عن الديك؟

- لا.. هو الذى قال إنه سمع به ويود أن يراه.

- يشرّف وينور

- إذا حدد موعدا فلابد أن نستعد له لأنه بالطبع لن يحضر وحده.

لم ترد عليه، فقد خامرتها بشائر لحالة من الزهو. إنها ليست ككل النساء وبيتها ليس ككل البيوت. حاولت أن تتخيل منظر العمدة ورجال البلد وهم يطرقون بابها ويتجمعون فى الفناء، ومن خلفهم كل أهل القرية.

تمدد فى الفراش.. تسلل إلى حواسه بسرعة عبقها وريح أنوثتها الشهية. نهض بجذعه وانحنى عليها.. أبعدته برقة.. قالت له:

- لابد أن نسميه.

ردته الفكرة الطريفة عن إكمال مشروعه الجنسي.. وشرعا معا يتبادلان اقتراح الأسماء، وكل منهما يرفض اقتراح الآخر، محاولا تقديم مبرراته.. عادى. بلا معنى.. قديم.. غير ملائم.. يناسب الأطفال.. يناسب الجبارين أو الحيوانات.. أنثوى.

بعد عشرات الأسماء لم يجدا مانعا فى النهاية من قبول «الملك» اسما له.. هذا هو أقل وأقرب مايناسبه من أسماء.

قال لها رشوان فى النهاية، أيا ما كان اسمه فقد أصبح مطمئنا عليها إذا غاب عنها لقضاء بعض الواجبات كتخليص الأوراق فى البندر وحضور اجتماع الجمعيات الزراعية الدورى فى المديرية والقيام بواجبات العزاء فى القرى المجاورة أو السفر إلى أبعد من هذا، فقد كان من قبل مقيدا وفى أغلب الأحوال رافضا للحركة.. أما الآن فالحارس موجود.

همست لنفسها وهى تغالب النوم: لو كان عندى عيل عمره حتى سنة لشعرت بالحماية وبأنى لست وحيدة.

تحدث إليها رشوان بعض الوقت إلى أن اكتشف أنها لا تسمعه. وأن السلطان صاحب الأمر والنهى على الأجساد قد طواها وطوى كل ناس البلد.

فى اليوم التالى وعند الضحى كانت أعداد كبيرة من الأولاد تعتلى السور.. كأنه مبنى منهم.. رؤوس.. رؤوس مختلفة، لكنها كلها فقيرة ومتسخة، وفى وسطها عيون.. تحدق، فيها تطلع وذكاء، جاؤا جميعا ليشاهدوا الديك.

صبيان وبنات يدققون فى ملامحه ويصفونه لبعضهم:

- شايف عرفه

ـ قد رغيف العيش

ـ ولا منقاره

ـ ولا دقنه الكبيرة

ـ أكبر من دقن الشيخ برهام

ـ أكبر بكتير يابنى

ـ شايف رجليه

ـ ولا مخالبه

قالت بنت من البنات:

ـ إلا ريشه وألوانه

ردت زميلتها

ـ صحيح.. ألوان غريبة

قال ولد كان إلى جوارها:

ـ ريش الديك بتاعنا «زى الريش ده»

زغدته البنت

ـ اتلقح.. ديك إيه يا أبو ذيك

تجرأ ولد وصوب قشرة برتقالة إلى الديك، لكن الديك لم يأبه، تجاسر ولد آخر وألقى حصاة صغيرة. لم تصبه.. أعاد الكرة.. أصابت جناحه، لكن الديك لم يتحرك.

زعق فيهم رشوان العائد من عمله، دهمتهم المباغتة فاختفوا فى غمضة عين.. بعد أن دخل رشوان.. شرعت الرؤوس الصغيرة فى الظهور..

واعتلى السور من جديد أصحاب النظرات المتطلعة والقلوب المشتاقة للكائن الغريب.

شرعوا يشاكسون الديك بإلقاء الحصى والطوب والثمار الفاسدة، ونوى الثمر والقشور وما تلتقطه أيديهم من الأرض، وهو لا يكاد يشعر بأن ثمة أحداً فى العالم غيره.. كانت محبات موفقة فى انتزاع الاسم من المجهول بحيث يتناسب مع ديكها المرموق.

بعض الأولاد فكر أن يستفز الديك الصامت فقلد صياح الديكة.

- كوككوكوكو.. كوككوكوكو

كانوا يودون سماع آذانه، لكنه كان يتطلع إلى السماء كمن يراقب السحاب الذى يتشكل أو يحسب مدى إمكانية أن تمطر.

نزل أحد الصبية الكبار وتقدم إلى الباب الخشبى بهدوء وحذر.. فتح الباب محاولاً أن يدخل ليقترب منه ويتعرف على ملامحه عن كثب. كانت بيده عصا.. لمحه الديك فتحرك فى اتجاهه، كأنه يقول له: إلا الباب.

وقف الولد فى الانتظار، ظن أن الديك لن يواصل الطريق نحوه، إلا أنه قفز بغتة قفزة خاطفة فأصبح عند الباب.. بُهت الولد ووقع ثم هب واقفا ومبتعدا، وأخذ - حفظا لماء وجهه وتأكيدا لجسارته - يطوح بالعصا فى الهواء مهددا.

مد الديك جناحه فأغلق الباب. أدرك الولد أن مسألة الدخول ليست بالسهولة التى تصورها، وأن الديك عند الجد لن يدع الأمر يمر دون تصرف حاسم، رغم طيبته الظاهرة وصمته الثقيل.

ظل الأولاد يتزايدون ويحتشدون فوق السور. يواصلون معاكستهم

للديك وظل هدوؤه محرضا لهم على المزيد من المعابثة، ورميه بالحصى والأغصان المهشمة ومختلف المهملات، حتى فوجئوا به فوقهم باسطا جناحيه يوشك أن ينقض عليهم، فزعروا كما لم يزعروا من قبل حتى فى أحلامهم، وصرخوا بأعلى ما يستطيعون وهم يرونه عملاقا قويا، بإمكانه أن يحيط بهم بل ويحيط بالقرية كلها.

تساقطوا فوق بعض وتصادموا وتعثروا وتخبطوا، جرى من استطاع وبقى فى مكانه على الأرض من فقد القدرة على الحركة وهربت منه الأعصاب وتملكه الرعب حتى أقعده. أما من ركض فلم يتوقف إلا بعيدا يتحسس رأسه المخبوطة وقدمه التى التوت، ومع ذلك جرى على الأخرى ولم يسمح للألم أن يسقطه، وكان هناك من سقط عليه الآخرون فزحف أو تحامل وأسرع ينجو.. الأصغر رقد على الأرض يبكى ويصرخ لا حول له ولا قوة.. والناس يضحكون على المشهد ومن كان له بين الفارين والساقطين أولاد فقد صرخ فزعا وسب الديك وصاحبته.

بعد لحظات زالت آثار الرعب وتسلل الرضا إلى القلوب الصغيرة لأنهم شاهدوا مالم يشهدوا من قبل، ولأنهم لازالوا أحياء والخسائر مهما كانت فهى بسيطة، رغم بكاء الصغار منهم على ما أصابهم، وأخيراً تناثروا مبتعدين مكتفين بما نالوا.

عاد الديك يتمشى بهدوء. يرفع ساقه باعتزاز كما يرفعها الجمل، ثم تحط مخالبه برقة وحنان على الأرض. أشعة الشمس تسقط على ظهره فتتجلى روعة الريش وتداخل ألوانه فى سيمفونية من الجمال بديعة، ويبدو من المنظور الجانبى حُسنُ بناء جسده الرشيق وطلعته النبيلة ليشكل ذلك مع الريش والعرف والذقن المزدوجة التى تهتز مع حركة رأسه، هيكلا غريبا

ومثيرا لاتشبع من رؤيته العين.

أطلت بعض النسوة العابرات على ما كان ينظر إليه الأولاد. قالت التى سبقتهن إلى النظر: يا حلاوة ياولاد.. جنينة حيوانات.. ياهناها محبات ياهناها.. تعالى شوفى يا صفية.

قالت صفية وهى تشهق: الله. سبحان الخلاق العظيم.

وأطلت ثالثة.. ثم ذهبن وجاءت غيرهن يبدين العجب وما تيسر من الحسد.. لم يعد لكل أهل القرية حديث إلا عن الديك.. ديك رشوان فى رواية، وديك محبات فى رواية.. إذا ذكره الرجال قالوا: ديك رشوان وإذا ذكرته النساء قلن: ديك محبات.. وبعض الرجال يفضل أن يقول: ديك محبات، فذكر اسمها يمثل لهم متعة للسان والقلب، لأن محبات تقريبا أجمل نساء البلد، ولطالما قال البعض: يدّى الحلق للى بَلا ودان.

ويرد آخرون: ليس فى زوجها شىء يُعاب.. صحة وعلم وأدب.. أما الخلقة فهى أمر الله.

# ( ٢ )

رفض رشوان فكرة فرش حُصر أو سجاجيد فى فناء الدار ليجلس عليها العمدة والضيوف، خاصة أن العمدة قال إنه ذكر سيرة الديك أمام رئيس المباحث فطلب أن يحضر ويراه، وحدث أن ذكر رئيس المباحث الحكاية لمدير الأمن ونائبه فطلبا أن يشهدا هذه العجيبة، وكان عندهما عضوا مجلس الشعب، سمعا بالخبر وأبديا سعادتهما أن يكون فى المحافظة التى يمثلاها فى السلطة التشريعية مثل هذا المخلوق النادر إذا صدق العمدة فى روايته. أما سكرتير عام المحافظة فقد علم بالصدفة ونقل المعلومة مع الشك فيها إلى مساعده وأمين الحزب الوطنى وعدد ممن كانوا بمكتبه.

لما اتصل رئيس مباحث المركز بالعمدة أخبره بأن مدير الأمن عرف وأبدى رغبته فى الحضور، وبعض القيادات طبعا ستشارك.

اقترح العمدة على رشوان استئجار كراسى فاخرة على حسابه على أن يقوم رشوان بالضيافة واستبعدا الفرش البلدى. قام رشوان فى اليوم المحدد للزيارة بتغطية الفناء كله بالرمل، ورص الكراسى الجلدية الحمراء، وحبس كل الطيور ماعدا الديك عريس الحفل.

فوجىء رشوان بالسيارات الفارهة تهجم على القرية وسارينات سيارات الشرطة تهدد من بعيد.. سيارات كثيرة تراصت أمام البيت وامتدت إلى الشوارع المحيطة وتزايدت فنزلت إلى أرض النادى الذى يقع فى قلب القرية.. عشرات السيارات الكبيرة والصغيرة الخاصة والعامة.

كانت على باب البيت لافتة بيضاء كبيرة ومثلها بعرض الشارع مثبتة

فى البلكونة المقابلة أعلى المقهى مكتوب عليهما: رشوان وديكه يرحبان بالضيوف.

ضجيج وهرج.. عدو ودفع وصراخ وزغاريد وهتافات وتحية وعناق.. وجوه رسمية حمراء ووجوه بيضاء وسمراء.. بدل لامعة وربطات عنق ملونة.. أولاد يركضون ويتعثرون فى الأقدام وينحشرون فى الزحام.

ضباط تنوء أكتافهم بما عليها من رتب.. نجوم وسيوف ونسور، وضباط صف ورقباء وعساكر يهرولون أمام الكبار، يفسحون الطريق ويفتحون الأبواب، ويلقون الرعب فى قلوب المستقبلين حتى يعرفوا قدر الباشوات القادمين.

جلس الضيوف على الكراسي، ولم تكف الكراسى فوقف الكثيرون خلف القاعدين، وكلما جاء شخص مهم قام له الأقل أهمية، وتنازع أحيانا المتشابهون فى قلة الأهمية لحساب المهم الذى تأخر وصوله.

طلع الأولاد والرجال والنساء على السور وتجمعوا بالخارج، تزاحموا وتشاجروا بحثا عن مكان للجلوس أو فتحة للرؤية، صعد بعض الأولاد على الأشجار وعلى الأسطح المجاورة، فى حين كان الديك يجلس فى الصدر.. ذلك الجانب الذى يواجه الباب وظهره للبيت، عن يمينه العمدة وعلى يساره مدير الأمن، بينما جلس رشوان على يمين العمدة وجلس عضوا مجلس الشعب على يسار مدير الأمن.. وكانت فرقة المزمار البلدى بإخلاص شديد تنفخ آلاتها تواكبها رقصات الخيول النشوانة.

كانت محبات قد طلبت من طه الخياط أن يُفصل «فيونكة» صفراء كبيرة لتعلقها فى رقبة ديكها.. حيث اكتفت بها وقاومت فكرة أن يفصل له بدلة كاملة، لأنه جميل بريشه الملون وعوده الرشيق وذيله المرفوع عاليا

إلى مستوى العرف، فهو مُزين وأنيق ربانى.

من الذى أخبر هؤلاء الصحفيين والمذيعين فجاؤا بآلات التصوير والأوراق والمسجلات، ومضوا يصورون ويجمعون مادة صحفهم وبرامجهم الإذاعية.. يركضون نحو هذا الجانب وينفردون بهذا المسئول ويسألون هذا الضيف ويأخذون رأى الجماهير، ويسجلون زغاريد النساء اللاتى حَسدْن محبات، وأكلت أكبادهن الغيرة.

- ولا فى فرح ابن العمدة حضر مثل هؤلاء الناس ولا هذا العدد من الكبارات

كان أخوة محبات ورشوان وأولادهم قد لبسوا أجمل ما عندهم من ثياب ومضوا يوزعون الشربات والعصائر والحلوى.. فوجئ الحضور بسيارتين كبيرتين تتوقفان وينزل منهما عدد من الأشخاص بينهم فتاة غاية فى الجمال والأناقة.. أقبل عليها الجميع يحيونها ويرحبون بها.. تبعها شاب يكاد يلتصق بها.. طويل عريض لايسمح لأحد بالاقتراب منها أو لمسها خاصة من الغوغاء والدهماء.. ظهر شاب ثان طويل، رقيق ووسيم مفروق الشعر من المنتصف وخلفهم ظهرت كاميرات التصوير التليفزيونى يحملها الفنيون.

كان الديك أعلى الحاضرين بفضل عرفه ورأسه الكبير، وأبرزهم بفضل ألوانه، أما سمته الهادئ الرصين فكان موضع دهشة حقيقية، ولم يمنعه هذا من أن يجلس فى اعتداد يجيل بصره فى كل ما يجرى حوله دون أن يحرك رأسه أو يحولها. بدا كأنه نصب تذكارى للكبرياء والشموخ.

كان ينظر فى سكون مشغول الفكر.. هل تُراه يدرك أن هؤلاء المحتفين قدموا لأجله.. مضى يمضغ الدهشة التى تتساقط على معالم حضرته

المشرقة، تتمطى فى عينيه الخيلاء، بينما العيون المحتشدة تمسح نظراتها فى وبر عظمته.

العصير.. شربته المذيعة التليفزيونية التى خطفت الأبصار بنورها الباهر، وأشارت لآلات التصوير كى تتبعها حيثما ذهبت، استلت الميكرفون من غمده وشرعت تحاور، والكل يلقى بنفسه عليها أو بالقرب منها فالحارس الضخم تكفى منه نظرة.

كان المصور يسدد عين آلته إلى الضيف الذى تحاوره المذيعة لحظات، ثم يهمله ليحط نظرات آلته معظم الوقت على نجم الحفل الوحيد الذى يتفصد بهاء ومهابة.

عندما رأى أحد الضيوف أن المذيعة لن تلتفت إليه ولن تمر به الأضواء أبدا، وليس فيه أو لديه ما يدعو لذلك، أعلن أنه يود أن يُلقى قصيدة شعر يهديها إلى «ديك بلدنا»، فلما بلغ النبأ آذان المذيعين والصحفيين، أسرعوا إليه بكل الاجهزة والأوراق والأقلام.

وقف الضيف لحظة يتمتع بالمجد، ثم سحب أطول نفس يمكنه أن يسحبه من حنايا جسمه النحيل، وانطلق يرتجل قصيدة بالفصحى من الشعر الحلمنتيشى خفيف الظل، لم تخل من صور بلاغية شائقة كشفت عن اقتداره.. وكانت بالفعل لمحة ذكية وإضافة ذات قيمة لحفل تتويج الديك.. عبَّر فيها الشاعر عن فرحته وفرحة القرية كلها بابنها البار.. ذلك الديك الأصيل، وأكد أنها أول مرة تفرح فيها القرية بحق وعدَّد أوصاف الديك الجمالية والشكلية ودوره فى توحيد القرية على الفرح والمحبة والوئام، وشكر الديك لأنه هو السبب فى أن يحس المسئولون بأهل القرية ويكلفوا خاطرهم مشقة الحضور لرؤية الديك النادر.. وطلب من الجميع الدعاء له بدوام الصحة وطول العمر.



تحدث رشوان عن ظروف نشأة الديك ورعايته وزوجته له، وذكر بعض طرائفه وعاداته.. وختم بأنه اتفق مع زوجته السيدة محبات على تسمية الديك.. الملك... ضحكت المذيعة وضحك الصحفيون.. وهلل الجميع.. اسمه الملك.. الملك.. وقال مدير الأمن وكان قريبا منه يتابع الحوار.

- الحمد لله إن بلدنا جمهورية

وتحدث العمدة وأعضاء مجلس الشعب وأمين الحزب الوطنى.

مال مدير الأمن على رشوان فسأله: هل يتكلم؟

ضحك رشوان وقال: لا.. حتى الآن لا.. ربما فى المستقبل

قال مدير الأمن بعد أن دعا عضوى مجلس الشعب والعمدة والآخرين للاستماع إليه: أنا أرى أن نساعد هذا الديك لتطوير شكله وإمكانياته، فنحاول أن نخصص له مدربا لتعليمه الرقص والحركات الاستعراضية الصعبة، وقد يوفق مدرب آخر فى تعليمه النطق ثم الغناء، وهكذا نقدم للعالم أعجوبة حقيقية تساهم فى تشجيع السياحة إلى هذه القرية والإقليم كله.

علق عضو مجلس الشعب: عندك حق ياباشا.. هو ليس تشجيعا للسياحة فقط ولكنه إثبات أننا لم نبق شيئا منحه الله لنا كما هو، بل أضفنا إليه مهارات جديدة وطورناه وكلها تدخل فى مجال الإعجاز.

قال العمدة: نبدأ أولا بمدرب الرقص والاستعراض.

أسرع رشوان يقول: المهم إنه لن يخرج من عتبة الدار.. على المدرب الحضور إلى هنا.

طمأنه مدير الأمن: طبعا طبعا

وقال رئيس المباحث: أقترح ياباشا تعيين حراسة عليه.. هذه ثروة

قومية.. هذا الديك لم يعد ملكا للأستاذ رشوان وحده.. إنه ديكنا كلنا.. ديك الوطن.

قال عضو المجلس الآخر وهو يبتسم: يعنى ليس من حق أحد أن يسبه أو يجرح كرامته بأى صورة.

ضحكوا جميعا إلا رشوان قال بجدية: لا داعى لحكاية الحراسة.. المطلوب فقط هدم هذا السور لأنه من الطوب اللبن وبناء آخر بالطوب الأحمر والأعمدة المسلحة وتعليته حتى لا يصعد إليه الأولاد، مع تغيير البوابة الخشبية التى لاتمنع رضيعا من الدخول إلى بوابة حديدية.

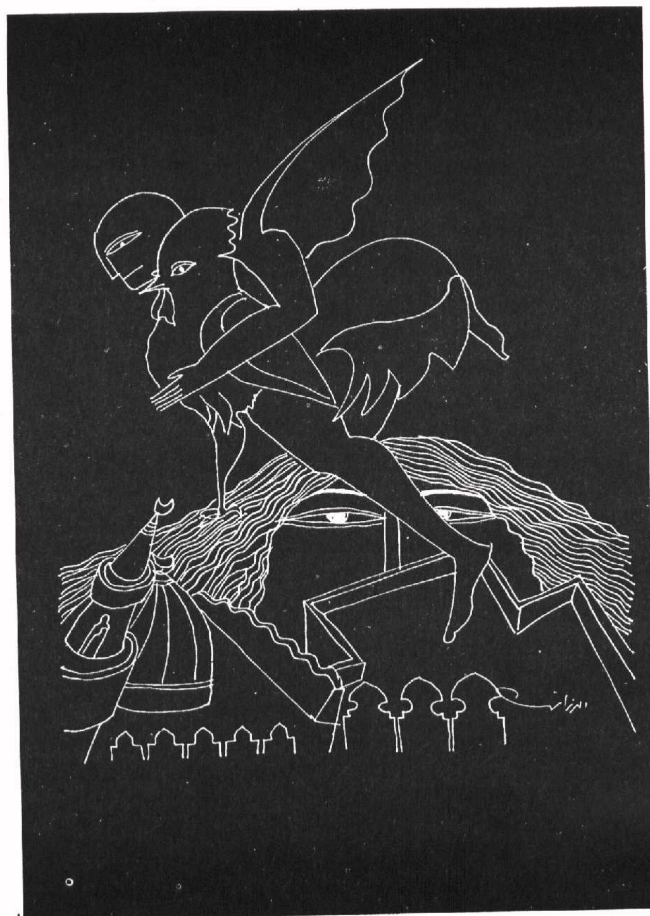
قال مدير الأمن: معقول.. وكم يتكلف هذا؟

قال رشوان: لن تزيد التكلفة على ثلاثة آلاف جنيه، وبهذا أكون أنا المسئول عن حمايته، بدلا من تعيين حراس.. تكلفة السور تساوى أجر الحراسة لمدة سنة فقط.. وافق الجميع.. لكنهم تساءلوا عن الذى يتحمل التكاليف.

قال أحد عضوى مجلس الشعب وكان رئيسا للجنة السياحة والإعلام:

ـ أقترح أن تساهم المحافظة بالنصف وتتحمل القرية النصف لأنها ستستفيد من قدوم الوفود السياحية.

استمر الحوار يتنقل بينهم ويتصاعد، والضحكات تتعالى والصفقات تعقد واللقاءات تنظم، والديك كالملك مرفوع الرأس يتألق وجهه بين الحاضرين، محافظا على جلسته النبيلة التى لا ينقصها إلا أن يضع يده ـ إن كانت له يد ـ تحت ذقنه أو على صدغه ليبدو كالمفكرين العباقرة، والمتشبهين بهم أيضا.



( ٣ )

لاحظ رشوان أن ارتفاع السور الجديد إلى نحو مترين لا يمنع الأولاد من الصعود. كان الكبار منهم يركضون فى اتجاه السور ويقفزون عليه فتتعلق أصابعهم كالخطاطيف فى أعلى السور، ثم يرفعون أجسامهم ويجثمون بصدورهم فوقه، أما الصغار فكان الواحد منهم ينحنى ليصبح حمارا ويصعد زميله على ظهره، ويصعد ثان على نفس الحمار، وقبل أن يصعد جميع الصاعدين يثور الحمار ويطلب أن يصبح غيره حمارا بدلا منه، يتمرد البعض وقد يرضى آخرون بشرط أن ينزل الذين صعدوا فى البداية ليصبحوا حميرا، وهكذا أصبح بيت رشوان هو لعبة كل الأولاد.. كل من يستطيع أن يمشى على قدميه ويغادر بيته، يسعى إلى بيت رشوان ليجد وسيلة أو أخرى ليصعد حتى يرى الملك.

فكر رشوان أن تبدأ السياحة الداخلية بتنظيم مواعيد للأولاد لمشاهدة الملك مباشرة عن طريق السماح لهم بالدخول من البوابة والتشرف بلقائه، والتحدث إليه مقابل رسم بسيط لايزيد على عشرة قروش لكل ولد أو بنت تحت خمس عشرة سنة وربع جنيه للأكبر، ويدخل من هو دون الثالثة مجانا، أما من يريد أن يلتقط الصور، فرسم آلة التصوير جنيه واحد وللصحفيين مجانا وهذه الأسعار تسرى على أبناء القرية فقط وتزيد إلى الضعف فى حالة المصريين الوافدين من خارجها، أما السياح الأجانب فخمسة أضعاف.. المهم أن يكون الدخول فى شكل جماعات، ولا تزيد مدة الزيارة عن ربع ساعة.

قبل أن ينفذ المشروع قرر أن يحقق التأمين الكامل للسور بوضع مانع قوي يحول دون صعود الأولاد فوقه، ورؤية الملك مجاناً، فضلا عن تشويه المنظر العام للمكان الذى أصبح مركزا سياحيا.

أمر العمال فوضعوا فوق السور خلطة أسمنتية من الرمل والأسمنت والجبس، ثم دسوا فيها الزجاج المكسور والمسامير بحيث تكون رؤوسها لأسفل، وعلى سطح الخلطة رشوا مسحوق الزجاج، حتى تتمزق أى يد يمكن أن تمتد إلى السور أو تلمس شفته العليا.

فى الداخل زرع شتلات شجر الجازورين والفيكس البلدى ملاصقا للسور حتى إذا كبر وعلا لا يرى أحد شيئا، لا الصاعد فوق السور ولا المطل من أسطح البيوت المجاورة أو من شرفة عبد العال ولا من شرفة محسنة.

عندما اطمأن إلى كفاءة السور، وبعدة أيام لم ير جنس مخلوق يقترب منه.. ذهب إلى العمدة يطلب الموافقة على بدء تنفيذ نظام الزيارة إلى الملك.

استفسر العمدة عن كل الجوانب الخاصة بالمشروع، أنبأه رشوان أنه عمل كل الاحتياطات حتى تتحقق الفائدة المرجوة.

تدارسا الأسعار جيدا ومدى ملائمتها لحالة الأهالى المالية.. وأخيرا وافق العمدة.. بشرط:

- اشرط

- لى النصف

عندئذ ساد الصمت.. طال بقدر حيرة رشوان التى انتهت مؤقتا بقوله:

لكن يا حضـرة العـمـدة.. أنت تعلم أنى أنفقت فـوق الألفى جنيـه على السور.

ـ ودفعت المحافظة مثلها.

ـ لم يكن الاتفاق كذلك.. كانت القرية مفروض تدفع.. لم تدفع مليما.

ـ الناس غلابة يا أستاذ رشوان.

ـ أنا دفعت والمحافظة دفعت، فما وضعك أنت؟

ـ يبدو أنك لا تقرأ.

ـ بل أقرأ.

ـ ماذا تقرأ؟

ـ أقرأ كتبا فى التاريخ والعلوم الزراعية وسير العظماء.

ـ لا.. لا فـائدة من كل هذا.. إذا أردت أن تفـهم الحـيـاة فـاقـرأ فى السياسة والاقتصاد.

ـ هل السياسة قالت أعط العمدة النصف؟

ـ نعم.

ـ متى قالت ذلك وأين؟

ـ قـالتـه منذ زمن.. عـُرْف سَنّه الرؤسـاء القـدامى واتبـعـه الخلف وخلف الخلف.

ران الصمت لحظة، واستأنف العمدة قائلا:

ـ بسيطة.. أنا كاذب.. اسأل أى واحد من كبار الموظفين، ألم تصبح صـديقا لرئيس المباحث ومـدير الأمن.. ألم تتـعرف على أعضـاء مـجلس

الشعب.. اسألهم.

زادت الحيرة، بلبلت رأس رشوان الذى تصور أنه قادر على التخلص منها فى البداية.. عاد يتساءل ويضغط على الحروف متعجبا.

- النصف يا عمدة!

أجابه العمدة بكل ثقة وثبات: نعم.. النصف

لايزال رشوان يفكر كيف يفتت هذا النصف.. نبتت فى خاطره فكرة حول ضخامة مصروفات تربية الديك.. سوف يبالغ قليلا حتى يخفف من اتساع كرش العمدة.

- أنت تعلم يا حضرة العمدة أن ديكنا ليس كأى ديك، لكنك لا تعلم أنه وهو كتكوت اشتريته بخمسين جنيها فى مزاد.

ضحك العمدة ساخرا، واستأنف رشوان:

- هذا الديك ليس مصرى الأصل إنه أمريكى، جد جده كان رئيس قبيلة من الهنود الحمر، وجدته كانت كاهنة فى معبد وساحرة.. ولا تنتج البطن غير عشرة فى السنة.. أمريكا صدرت عشرين كتكوتا فقط إلى منطقة الشرق الأوسط.. لم يبق منها إلا الملك.

قاطعه العمدة..

- يا أستاذ رشوان لا صالح لى بكل ذلك.. هل ستحكى لى سيرة حياته.. أنا لى النصف ولا أقول الثلثين.

تنهد رشوان: هذا الرجل لا حد لطمعه.. لابد من مقاومته بأى وسيلة..

- يا حضرة العمدة من حقك علىَّ أن أعرفك كل شىء عن الملك الذى يهمك أمره.. هل تحسب أنه يأكل كما يأكل دجاجك.. ذرة وبرسيما

وقشا.. لا.. إنه يأكل فى الصباح صفار البيض مسلوقا ثم مقليا فى السمن مضافا إليه مسحوق عين الجمل، وفى الظهر يكتفى بكبد السمك نيئا وعيون الحمام مقلية فى زيت الزيتون.. أما.

- يكفى يا أستاذ رشوان.. هل ترى العصافير مدقوقة على صدغى.. لقد كانت موجودة من قبل.. ثم طارت.

- يبدو أنك لا تصدقنى.

- كيف أصدقك يارجل؟ أنا طول عمرى أحترمك

- أنت لم تشاهد الكتالوج الذى يوزع مع الكتكوت.. لقد تخلصت من كل الدواجن والبهائم، وحرمت نفسى وبيتى منها لأجله.. هذه هى شروط تربيته، لابد أن يمشى على أرض نظيفة تماما.. تراب نعم، لكنها طاهرة ولا تطؤها نملة.. هل رأيت الدواسة التى وضعتها أمام البوابة حتى أمسح بها حذائى.. يبدو أنك لاتقرأ عن الموجة الجديدة من الطيور فى أوروبا.

- الموجة الجديدة.

- أفق يا عمدة.. أنت تعيش كما كان الناس يعيشون منذ ألف عام.. لك أن تفخر بأن قريتنا هى أول قرية فى الشرق الأوسط نجح فيها وعاش هذا الديك وماتت كل الديوك التى وصلت المنطقة.. وهذا مسجل فى موسوعة الديوك التى تصدرها المؤسسة العالمية، وبها اسم القرية، واسمك بوصفك راعى القرية.

ابتسم العمدة.. وقال: موسوعة!

- موسوعة ضخمة تطبع بجميع لغات العالم خاصة بهذا النوع من الديوك فقط، والمؤسسة لا تصدر إلا موسوعتين.. موسوعة الديوك

وموسوعة رؤساء الجمهوريات.

- والله براوة يا أستاذ رشوان.

- هذا كله بفضل تربيتى ورعايتى وتنفيذى الدقيق لكل كلمة وحرف فى الكتالوج.. كل فلوسى ضايعة عليه.

بدا على العمدة أنه يكاد يصدق أن المسألة ليست بالبساطة التى تصورها، وأن عليه أن يحاول بذل مجهود ليفهم هذا الكائن المعجزة.

انبسطت قليلا أسارير العمدة وهو يقول: الطب تقدم ياولاد

عاجله رشوان بقوله:

- هل تعرف ماذا يشرب؟

سأل العمدة وهو يحاول التخلص من حالة الشرود التى أصابته فهى لا تليق بعمدة، وأبدى استعدادا للتعلم حتى لا يبدو وسط رجال الدولة جاهلاً.

- ماذا يشرب؟

- فى الصباح يشرب عصير تفاح مثلجا وفى الظهر مع الطعام مياه معدنية، أو أى مشروب بلا لون، وفى المساء يفضل الموز باللبن، وطبعا أخذ منى وقتا طويلا وجهدا كبيرا ومصاريف كثيرة حتى أقلع عن الخمور قبل النوم.

- خمور!

- سلو بلدهم يا عمدة.. ناهيك عن مصاريف علاجه إذا اشتكى من صداع أو زكام أو كحة أو إسهال.

- غريبة يا أستاذ رشوان.

- هل تحسبه يرضى أن يستحم بالصابون الذى تستحم به؟

- وماذا به الصابون الذى استحم به؟

- لا يا عمدة لا.. كل أنواع صابون البشر تسبب له السعال أو الرغبة في الهرش، إنه لا يستعمل إلا صابون مخصوص اسمه الروك آند رول.. الدولة تمنع استيراده، فيأتى مهربا.

- هل تقول الحق يا أستاذ رشوان.

- وهل عهدتنى إلا محبا للحق

تنهد العمدة وقال:

- والله ما كنت أعرف شيئا عن هذا وأنت بطبعك قليل الكلام لم توضح لى المسألة.

- كنت أعتبرها مسألة خاصة، وأنا لا أحب أن أحمل الناس مشاكلى، لكن عندما تحولت إلى موضوع عام.. لابد أن المسئول الكبير يعرف، ولابد من المشاركة والتعاون.

- من أجل خاطرك يا أستاذ رشوان سأنزل بالعمولة إلى... إلى الثلث

هب رشوان واقفا وهو يقول بحدة:

- ساعة كاملة أشرح لك حالة الديك ومصاريفه وكيف وصل إلى ما هو عليه وما اقتضاه ذلك من جهد ووقت وتقول الثلث.. الله الغنى.

وقف العمدة بصعوبة وجذبه من كمه قائلا:

- أصبر يا رجل.. أنت ناسى أنى سوف أقوم بإقناع الناس بالرسوم، وتشجيعهم على الزيارة، وأجلب لك ناس من خارج البلد وأعمل للملك

الدعاية اللازمة وأرسل لك المدرسة فصلا فصلا ومدارس البلاد المجاورة.

لم يهدأ رشوان بعد سماع هذا الكلام، لكنه هدأ واستعد للموافقة بعد أن خطرت بباله فكرة استحسنها، وهى أن العمدة لن يعرف بالداخلين والخارجين.

استمر العمدة فى حديثه يعدد ما سيفعل ليصبح الثلث حلالا فى نظر رشوان، الذى أخيرا قال:

ـ طيب يا حضرة العمدة.. ليكن ما تراه

ـ نقرأ الفاتحة

بعد الفاتحة قال العمدة:

ـ على بركة الله. والآن اختر بين أسلوبين لحصر الإيراد.. إما أن أعين على بابك خفيرا يحصل الإيراد أو أطبع تذاكر لايصرح بالدخول عندك بدونها والتذاكر تصرف من عندى.

أسقط فى يد رشوان، لكنه وافق واختار أن يطبع العمدة التذاكر وليس ثمة داع لخفير يقف على بابه.. قبل أن يخرج رشوان.. قال له العمدة:

ـ والحكومة لها الثلث

توقف رشوان مبهوتا، فابتسم العمدة فى دهاء وقال:

ـ لا تفزع.. سأنقذك منها.. إذا سرت معى على الصراط المستقيم

ـ طمئنى أولا كيف سنخرج من هذه الورطة؟

قال العمدة بثقة وهو يشير بأصبعه إلى مخه:

ـ خمس سنوات إعفاء للمشروعات السياحية

تأهب رشوان للخروج وهو يقول:

ـ الحكومة لها نظرة فى اختيار العمد.. سلام

انحنى عليها. تأمل لحظات وجهها المليح.. زورق أبيض يخوض فى بحار شعرها المتناثر.. ورد الصبا يتفجر بالجمال من الخدود التى توجتها أهداب طويلة.. تأمل الجبهة العريضة وطافّ بالأنف المدبب وتوقف عند الذقن المستديرة الناعمة.

خامره إحساس بالبهجة لأنه يمتلك هذا الكائن، الذى لايكاد يشبهه كائن آخر فى القرية كلها.

بدا واضحا أنها منقوعة فى برميل النعاس، ولاتبدو بارقة أمل تشى بأنها ستصحو قريبا برغم النور المتسلل من خصاص النافذة، ورغم زقزقات العصافير التى انطلقت مبكرا لتأكل وتمرح وتغنى، فقد كان الليل بالنسبة لها طويلا، وعليها إذن أن تفرج عن الأجنحة والأرواح والأغنيات الأسيرة.

هزها وهو يقول: إصحى.. صباحية مباركة يا عروسة

ضحْكت رغما عنها.. شقت حجب النوم بسمتها لترتسم على محياها كله بعد أن نفذت إلى عمق نومها كلماته.

ـ صباحية مباركة بعد تسع سنين يا رجل..!

قال: كل يوم حلو يمر علينا، صباحية مباركة.. يوم الجمعة بالذات صباحه مختلف.. غير كل الصباحات.. مشرق ولذيذ هيا.. قومى.

تركها وخرج إلى ساحة بيته الأمامية.. أسرعت نحوه عشرات الدجاجات والديكة التى استبد بها الجوع، وأنبت اليأس فى قلوبها فراغ

الفناء من أى «فتفوتة» خبز، وغياب البشر أصحاب الدار.. مسحوا الفناء نقرا بالمناقير وحفرا بالأظافر الصغيرة الطرية قبل أن يشرق على الدنيا نور الصباح.

عاد رشوان إلى الداخل فملأ كفه الكبيرة بكمية من الذرة الصفراء.. جلس على دكة خشبية ينعم بالدفء الذى تنشره الشمس على العباد.. أحس بالحرارة تنفذ من ملابسه وتدغدغ جلده، وتنسل منه إلى لحمه وعظمه. تتحول داخل بدنه إلى لذة وابتهاج.

التفت حوله برابر الدجاج.. أكبرها لم تنشق عنها البيضة إلا منذ ثلاثة أشهر.

مضى يتسلى بمشاهدتها وهى تجرى فى إثر حبات الذرة.. تندفع جميعها وراء الحبة التى تسقط إلى اليمين، ثم تعدو جميعها وراء الحبة التى تسقط إلى اليسار.. وكلها تركض صوب التى يلقيها بالقرب منه والتى يلقيها بعيدا.. تساءل عن أى الحواس تعتمد عليها الدواجن، ورجَّح أنها السمع.

طلعت عليه محبات بعودها الممشوق ووجهها المضىء وقد تألق بعد الحمام.. أضاف الثوب الوردى الطويل الكثير إلى بهائها الساطع. فى يدها طبق به رأس من الثوم.. رأت الكتاكيت المنهكة فى القفز والركض وراء الحب.. قالت لرشوان.

- حرام عليك.. قطعت أنفاسها

لم يرد.. بدا عليه أنه اكتشف ظلمه لها.. نسى فى غمرة فرحته أنه بالفعل هد حيلها.. قذف كل ما معه دفعة واحدة.. انقضت عليه وتدافعت وتعجلت الالتقاط، لعلها تعوض بعض ما أصابها من الحرمان عندما كان

البشر عنها غافلين، يضمهم بين أحضانه دفء الفراش وثقل النوم.

جلست محبات على جذع شجرة. حطت الطبق فى حجرها، أعملت يدها فى تقشير فصوص الثوم، بينما عيناها تراقبان دجاجاتها الصغيرات.. على ملامحها علامات الرضا.. تستبى الطيور فؤادها وتنقر على زجاج روحها.

كانت تحدق فيها وقد تجمعت كلها حول الحب وتداخلت فى بقعة واحدة، جسم واحد ينبض بالحركة، بينما الرؤوس مختفية عند الأقدام، تختطف الحب بقدر ما تسعف المناقير الصغيرة.

قالت فى نفسها: كل صغير جميل.

التفت إليها رشوان.. طالعه وجهها الشهى النضر، يتفجر شبابا بعد أن لفحته أشعة الشمس، فاكتسى البياض احمرارا وتوهجا.

قال: هل ترين ما أراه؟

قالت: أرى أنها باسم الله ما شاء الله تكبر بسرعة.. هذه دائما تربية أمى، وقد لاحظت أنت ذلك طوال السنوات الماضية.

قال: هذا صحيح، لكن ألا تلاحظين شيئا آخر؟

سألته: هل تقصد الديك الكبير؟

- نعم

- ماذا به؟

- إنه قليل الإقبال على الطعام

- يحب أن يراها تأكل

- غريبة

ضحكت وقالت: هكذا الديوك عادة.. لا تأكل إلا بعد أن تأكل الدجاجات

ابتسم وقد تنبه لإشارتها، وقال: أتحدث عن هذا الديك العالى بالذات.. إذا عثر على الحب أو أى شىء يؤكل فى موضع لاتراه البقية، يسرع بالنداء عليها.

- أرأيت

- ومع ذلك يكبر بدرجة أسرع، ويبدو بينها كأنه من جيل أسبق.

- دعك من هذا، وانظر إلى شكله الجميل ومشيته ونظراته وإحساسه بالعظمة.

- لكنه لم يؤذن حتى الآن فى حين أن الديكة الأصغر منه تؤذن شردت لحظات وقالت:

- غريبة

- كانت فى بيتنا ديوك صغيرة.. مجرد كتاكيت، لكنها تؤذن.

- لاتنس أنه لايزال فى السن صغيراً، لا تنظر لطوله وعرضه.

- أقول لك كانت الكتاكيت عندنا تؤذن.

قالت وهى تنهض:

- عندكم.

تعودت أم محبات أن تبعث إلى هذين الزوجين الوحيدين كل عام، قفصا كبيرا يضم وراء قضبانه الخشبية من عشرين إلى ثلاثين بربرة،

يعيشان عليها وعلى ذريتها وعلى بيضها طوال العام إلى أن تصل الدفعة التالية.. تجرى الدجاجات فى الفناء، وينشغل بها الزوجان، تملأ عليهما الدار الواسعة.. تصبح هذه الدجاجات جزءا مهما من تكوين العالم، كالشمس والليل والنهار.. كالحب والجنس والنور والظل والغذاء والنوم.

فى تربية الطيور كان حظ الأم موفقا جدا، تربى وترسل لبناتها الثلاث المتزوجات.. القرية كلها تعرف أن طيورها تكبر حتى تصل إلى أحجام غير عادية، أما الديوك فتبلغ ارتفاعات عالية، وصل أحدها منذ عدة أعوام إلى مايقرب المتر، وكان أعجوبة بعرفه القانى الكبير وتألق حديقة الألوان على ظهره ورقبته.

تغار النسوة ويسألن عن السر فى ذلك، مع أنهن جميعا يشترين من بائع واحد يمر حاملا أقفاص الدجاج على بغل كبير وسألوها عن الطعام فإذا هو نفس الطعام، ولما قالت واحدة منهن إنها تغنى لها..، غنت جميع النساء للدجاجات، فلم يتغير الحال.. أخيرا وبعد سنوات هل يا تُرى خفَّت حدة الغيرة!

لا أحد يعلم

ظل رشوان يرقب طيوره مستمتعا بحركتها وعراكها البرىء وصراعاتها الصغيرة الخاطفة.. ظهر الديك الرومى الكبير خارجا من عشته المجاورة للطلمبة، مضى فى اعتزاز «يقرقر»، ويحك طرفى جناحيه السفليين فى الأرض، تشمله حالة أقرب إلى الغضب والاستنفار، كلما رأى الديك الجديد المتطاوس.

تتلبسه الحالة وتشتد. يحتقن وجهه.. يحاول أن يعلن عن وجوده، وأنه فى هذه الدار هو الكبير، مهما كبر العيال وتفحلت أجسامهم.

طفا على سطح ذاكرة رشوان قول محبات.

- لا تنظر لطوله وعرضه.

كان قد قال لها إن الديك رغم حجمه لا يؤذن.

لم يستطع أن يتقبل عبارة محبات على أنها جاءت عفو الخاطر أو بريئة وخالية من التلميحات.

شعر ببرودة مباغتة.. كيف اقتحمته هذه البرودة وهو منذ ساعة يستدفئ بحرارة شمس تتألق فى سماء صافية.

لم يكن رشوان ومحبات قد رزقا بولد ولا حتى سقْط ميت رغم مرور تسع سنوات على زواجهما، وهو لا يشكو من شيء البتة غير تأخر وصول الغلام.

هل يُعَد من لا ينجب شخصا عجيبا أو غير عادى.. فى هذه القرية يبدو كذلك، بل إن ثمة شعوراً فى النفوس تجاهه، إما الرثاء أو الشفقة، وقد يكون شعورا بالاستخفاف.. وأحيانا يشوب الحديث مع من لا ينجب قدر من التحفظ والانتباه حتى لا يجرح أحد إحساسه بوصفه شخصا ذا عاهة.

«ولا تقولن لشيء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدينى ربى لأقرب من هذا رشدا».

قرآن الجمعة أنقذ رشوان من أفكاره التعسة.. مضى إلى المرحاض ليتخفف وإلى الطلمبة ليتوضأ.. ظهرت محبات فجأة لتدير له الطلمبة.. كانت مضبوطة على تحركاته.. اثنان لا ثالث لهما إلا الطيور وخروفان وكلب ولا توجد جاموسة أو حمار.. قطعة أرض صغيرة يزرعها له أخوه

عبد الغفار.

بعد أن حصل رشوان على دبلوم الزراعة من عشرين سنة عمل بالجمعية الزراعية حتى أصبح الآن رئيسها.

ارتدى جلبابه الصوفى البنى الغامق. سوّى فى المرآة الطاقية الجديدة على رأسه الصلعاء الكبيرة المستديرة.. دخل فى عباءته المشمشية، وتعطر والتقط السبحة.. عبر الفناء الكبير مرعى الشمس والطيور.. أسرعت جميعا إليه إلا الديكين.

دنا منه الكلب فقذف قدمه فى وجهه دون أن يلمسه.. تراقص الكلب حوله.. زعق فيه.. لمست قدم الكلب الخلفية إحدى الدجاجات تعثرت ووقعت.. أسرع الديك فنقر الكلب فى مؤخرته، فوجئ الكلب وانشغل عن مداعبة صاحب البيت بالتحديق فى هذا الخصم الجديد الذى لم يكن قد خطر على باله من قبل.

اجتاز رشوان البوابة الخشبية القصيرة بجسده الفارع، وسوّى عباءته على كتفيه.. اتخذ طريقه إلى المسجد.. تجنب بحيرات الماء التى ألقتها النساء فى الصباح.. مياه الحموم المبقعة برغاوى الصابون البيضاء.. لازالت له فى الجو روائح نفاذة.. كانت بعض النسوة قد تأخرن فى رش الأرض بمياه حمامهن، ولما التقت وجوههن تبادلن تحية الصباح ضاحكات.

بدا النهار محتفيا بيوم الجمعة، بهيا ومزدهرا.. يتعالى فى الآفاق ويتردد الصوت القوى الرخيم لقارئ القرآن يتلو آيات من سورة الكهف «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه، ويقولون يا وليتنا مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ووجدوا ماعملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا».

لم يكن رشوان محافظا على الصلاة، لكنه كان حريصا أن يصلى الجمعة لأن القرية كلها تكون فى المسجد.

حيا رشوان كل من التقاه وحيوه.. كان كلام محبات لايزال يتمشى فى رأسه ويخبط فى جنباتها.. لا تنظر إلى طوله وعرضه.. لكنه لا يؤذن.. لا يؤذن مثلك يا رشوان.. أنت لا تؤذن فى سراديب محبات التى تشتاق إلى أن يتحول الآذان إلى أولاد تجرى فى ساحة الدار وتملؤها كما تفعل الطيور.. الأولاد شىء آخر.

أخبره الأطباء أن العيب عنده.. أغمض عينيه لحظة.. كان قبل الزواج مثل هذا الديك، كل بنات القرية يتمنينه زوجا.. شباب.. وظيفة حكومية..

أمه اختارت محبات وقد رضى تماما عن هذا الاختيار.. ليس لديها ماتلام عليه، لكن المال والبنون زينة الحياة الدنيا، قال له بعض الأطباء أنه فى حاجة إلى علاج طويل ومكلف، وافق وتناول ماكتبوه.

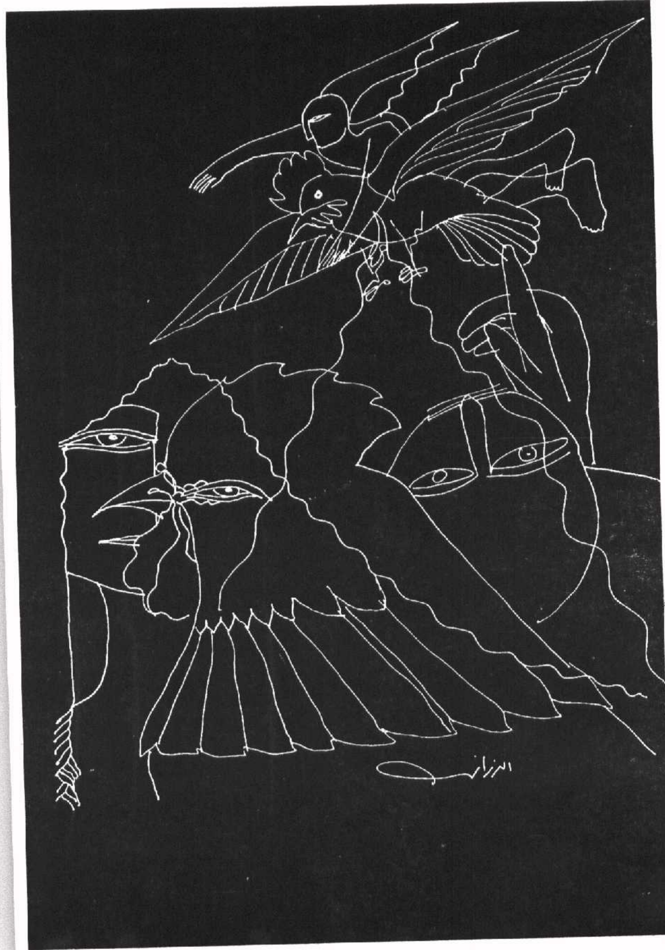
أشار عليه أحدهم أن يحقنه فى ظهره بحقن هرمونات.. إنها مع غلاء سعرها مضمونة الأثر ٨٠٪، نفذ على الفور وتحمل الحقنة المؤلمة التى تنفذ بين الصلب والترائب.. لكن دون جدوى.

جرب الوصفات البلدية والطب الشعبى وقطع مئات الكيلو مترات حيث الدجالين والمشعوذين، ومن يفتحون الكتاب ويقرأون الفنجان والكف.. سدى.. كل ذلك ذهب سدى.

زار الأولياء من السيد البدوى إلى المرسى أبو العباس والقناوى والدسوقى وختم بالحسين والسيدة.. قدم الهبات ووفى النذور وذبح الأضاحى على أعتاب الأضرحة ووزع على الفقراء فى المناسبات المختلفة تقرباً إلى أصحاب الأضرحة.

فجأة ضاق بالمشوار كله منذ عام، وأوقف كل الخطط، ورفض بدون مناقشة كل العروض المقترحة لحل اللغز.. قرر فقط أن يرضى محبات ويحقق لها ما تتمنى ليعيشا فى سعادة، مادام الأمل فى الإنجاب لايبدو ما يشير ولو بنسبة واحد فى المليون أنه يعرف عنوانه.

بينما كان ينوى أن يصلى ركعتين تحية للمسجد، كانت محبات فى الشباك تنظر إلى دجاجها، وكانت الحدأة أيضا فى السماء تنظر.. أخذت تدور فى الفضاء، تبتعد وتقترب، وفوق الفناء تحوم.. تحوم وتحوم.. ثم انقضت فجأة كالصاعقة على الدجاجات الصغيرة التى تمرح فى ضوء الشمس.. قبل أن تلمس كتكوتا واحدا كان الديك تحتها مباشرة.. ارتبكت الحدأة، وتلاطمت أجنحتها وأوشكت على الوقوع، ثم انطلقت تطير فى غير اتزان.. طارت بعيدا بعيدا، وظلت عيون محبات ترقبها فى هدوء وثقة بعد أن استقر قلبها فى موضعه، وكاد منذ لحظات أن يقفز من صدرها فزعا على الأرواح الصغيرة.



( ٥ )

كلما دخلت عليها جارة قالت:

- ما أحلى دجاجاتك يا محبات

وكلما دخل رجل قال لرشوان: زوجتك فالحة.. جعلت لك البيت عامرا.. بارك الله فيها.

محبات تؤمن بالحسد ونساء القرية كذلك إيمانا لا يتزعزع، لعله إيمان أنبتته فى أرواحهن الوراثة لا التجربة.. آه من كل العيون التى ترى الجمال والخير ولا تصلى على النبى.. سواء العيون الشبعانة أو العيون التى لا يملؤها إلا التراب.

شرعت الدجاجات واحدة فى إثر الأخرى يصفر لونها، تهدأ حركتها ويفتر نشاطها، ثم تنصرف عن الطعام، فلا تركض إليه حيث يكون، وقد كانت تنقر الأرض بالمناقير والمخالب بحثا عن الحب أو فتاته كلما تأخر المدد، وكثيرا ما كانت تعثر على بقايا الخبز أو هشيم البرسيم وغيره من النباتات، ولا تعجز فى حالة القحط التام عن اصطياد ما يملأ ركنا فى الحواصل حتى لو كان ذبابا طائرا، أو الرضا بفضلات طازجة تتخلص منها العصافير والحمام والإنسان.

طالما هناك نور، تظل تنقب عما يصلح أن يكون طعاما.. وإذا استشعرت شيئا من الامتلاء يخلو بالها للعب مع بعضها أو مع أعمدة الضوء وبحيرات الظل أو مع الحشرات التى تطير وقد تتعلق بالجدران.. نشاط دائب وحركة لا تكل، ولهو ومرح.

لما كبرت قليلا أحست بحاجة أجسامها للجنس فسعت إليه ومارسته وتبادلته وانتعشت وأقبلت على الحياة، وسرها ما آلت إليه، وتلذذت بالدبيب الذى يحدثه تأهب عنقود البيض للتشكل فى أحشائها، وتكون لأجل ذلك ريش ناعم جدا كالقطن محيطا بالمؤخرات.. البوابة التى يعبرها البيض من الظلمات إلى النور. عالم محتشد بسر الحياة الفطرية البسيطة.. يتشكل هنا وهناك.. فى السماء والأرض، وباطن الأرض، وكل البطون.. كل الموجودات تواصل الغرس والنماء، كما تواصل الذبول والفناء.

عند الفرن محبات.. تعيد تشبيت الحطب الذى طيرته ريح الأمس. وقعت عيناها على خمس بيضات صغيرة عليها آثار دم.. حملت البيضات فى كفيها.. شملتها بنظرات حنون كما اعتادت أن تفعل مع كل نبت جديد.. تأملتها.. استبعدت أن تكون بيضا لحمام أو يمام لابد أنها البشائر، وضعتها «البرابر» الصبية.

اختارت الدجاجات الصغيرة لنفسها هذا الركن الدافئ الهادئ. ألهمتها الغريزة أن تسعى إلى منطقة مأمونة ومستورة، بعيدا عن العيون والأقدام.

مع أنها ليست المرة الأولى إلا أن فرحة محبات كانت كبيرة.. فرحة تليق بإنتاج الدفعة الجديدة، ولكل مولود فى البيت فرحة، حتى لو كان كلبا.

حملت البيضات ومضت إلى زوجها، وقد أخفتها وراء ظهرها قالت له: مبروك

وهو مشغول بحلاقة ذقنه قال: الله يبارك فيك.. علام؟

قالت: حزّر

فكر وتذكر وبحث. لم يكن ثمة شيء جديد فى حياته، ولم يكن هناك ما ينتظر أن يحدث.. التقطت نظراته وقفتها.. أدرك أن المفاجأة فى يديها.. حاول من جديد.

قالت: غلب حمارك

قال: غلب

بسطت كفيها أمام عينيه

هتف متهلل الوجه: اللهم صلى على النبى.. إنها لم تكمل غير شهور قليلة.

- إدعُ لأمى.

- خمسة فقط

- نعمة

- الحمد لله

فى صباح اليوم التالى حاولا أن يراقبا الدجاجات ليعرفا أيها باضت والتى عليها الدور.

خرج رشوان، وجلست محبات تراقب الديكة، لتتعرف على الديكة النشيطة التى «تكبِّس» الدجاجات، وتقوم بتحميسها لوضع البيض.

تذكرت أن أمها قالت لها يوما:

- إن الدجاجة تبيض حتى لو لم يلمسها ديك.. لكنه بيض لايمكن أن يفقس كتاكيت مهما احتضنته أمه ونامت عليه شهورا.

تنهدت محبات وقالت:

- حكمتك يارب.

تابعت حركة الديكة واطمأنت إلى أن الجميع نشيطة وراغبة والدجاجات كذلك.. إنها تشكل معا مستعمرة من الخصوبة والحب. أخذت المساقى الفخار وغسلتها تحت الطلمبة جيدا وملأتها ماء جديدا وأسكنتها مواضع غير التى كانت فيها.

ألقت نظرات عاجلة على الديك الرومى والأوز والبط، ثم اتجهت إلى داخل الدار.

فى اليوم الثانى ظهرت خمس بيضات، وفى اليوم الثالث عشرت على ست، ثم سبع، وبعدها عشر، ومعها تتخلق الآمال والأمنيات الصغيرة.

فى أعماق الزوجين وبينهما يدور الحوار ويتجدد.. يتحدثان عن اختلاف بيض اليوم عن بيض الأمس، وتغير الأحجام، ويتحدثان عن الطيور وتغير حركاتها والمشى وكمية الطعام، ومع كل جلسة شرعا يقترحان الأسماء لبعض الدجاجات حسب الملامح والعادات وطبيعة الحركة.. اقترح رشوان أسماء لبعضها هى لأشخاص يعرفهم تتشابه ملامحهم وسلوكهم بصورة ما مع ملامح أو سلوك بعض الديكة أو الدجاج. بعد أيام ظهر الاصفرار على وجوه بعض الدجاجات وعلى أعرافها ومناقيرها وتداخلت رؤوسها فى أجسامها، وقصرت رقابها، وآثرت أن تركن إلى الظل، لم تعد تركض وراء الحب، وقد تمضى الدجاجة نحوه فتلتقط حبة أو حبتين، وقد تتمشى صوب وعاء الماء فتمسه بمنقارها مسًا، أو تغمسه دون أن تغترف إلا نقطتين أو ثلاثاً.

ضربت محبات صدرها:

- يا مصيبتى.. هى عين أم الواد شحتة، أو عين وداد، وممكن تكون عين أختى أمونة.

نادت رشوان الذى أقبل مسرعا، وقد استشعر أهمية الدعوة من صراخها ولهفتها.

تأثر رشوان بالمنظر التعس وأرسل من يستدعى له صديقه رمزى الطبيب البيطرى.

لم تكن بالنسبة لهما قيمة الدجاجات والديكة والبط والأوز والخروفين وكل ما يملكانه من طير وحيوان فيما تساويه من المال، وإنما بوصفها بمثابة الأبناء والأهل والأحباب والونس وحس البيت، وهى التسلية والفرحة.. ترتبط أيامهما بحركة ونمو وتكاثر هذه المخلوقات البريئة الجميلة التى تشبه نقوشا رائعة على ثوب أبيض.

حتى الكلبة لم يسمحا لها بالخروج والغياب أحيانا، إلا لأنهما يعرفان أنها بحاجة إلى أن تلتقى بكلب الحاج مراد شيخ البلد إنهما راضيان عن اختيارها، فقد حالفها التوفيق، ولم تسقط على أى كلب كما تفعل الكلاب الطائشة.. إنه كلب قوى وشجاع، متنبه جدا لكل غريب ولكل رائحة ولكل صوت، وله مواقف تدل على أصالته ونبله، وهما لذلك لا يمانعان فى أن تسلم الكلبة نفسها لكلب ابن أصول وعلى خلق، وإن لم يحصل على أى قدر من التعليم، ويقضى معظم أوقاته فى الشارع.

من أجل المحافظة على علاقتها بعشيقها، وحرصا على احترامه لها خصصا لهما موعدين فقط فى الأسبوع هما الاثنين والخميس، حتى يشتاق إليها، ولما وجده رشوان أمام البوابة عدة مرات يحوم حول بيت الحبيبة، اضطر لطرده بعد أن تأكد من أن هذا اليوم ليس من اليومين

المسرح بهما. وكان قد منع أن يتم اللقاء داخل بيته أو بالقرب منه حتى لا يراهما بقية الحيوانات والطيور

وضعت الكلبة جراءها فى آخر مرة فى ركن من الفناء كانت محبات قد جهزته لها بعيدا عن الخروفين والديك الرومى.

فرح رشوان وزوجته بالجراء غاية الفرح وتابعا باهتمام ودهشة حركاتها وهى لا تزال فى حضن الأم ذى الأثداء الستة.. الجراء فى أغلب الأحوال ستة.

راقباها وهى لا تزال قطعا من اللحم تتلوى وتتوجه مغمضة العيون إلى الأثداء.. كل منها يعرف ثديه.. يرضع وينام، ثم يصحو ويتلوى فى اتجاه الثدى ليرضع وينام.

لما كبرت وانتشرت فى الفناء المشمس، شاركت فى الحركة الدائبة التى تعود الفناء أن يشهدها.. ساهمت الجراء فى الأنس الجميل عدة أيام إلى أن بدأت تتجاوز حدودها فى معاملة جيرانها الطيبين..والجراء الصغيرة كانت تميل إلى المداعبة الثقيلة، ولعل الوراثة هى السبب.

عندئذ تبدأ عملية التخلص منها بتقديمها لكل من يطلب، والتوزيع حسب أسبقية الحجز، والأقربون هم الأولى بالكلاب.

حقن الطبيب جميع الدواجن.. ترك لهما كيسا به مسحوق أبيض. طلب أن توضع منه فى الماء كل صباح عبوة ملعقة. وعدهما بالعودة بعد أيام، لكنه عندما عاد ووقف أمام البوابة الخشبية يطل على الساحة التى كانت دائما عامرة وتموج بالحركة، لم تقع عينه إلا على ديك واحد كبير بشكل ملفت للنظر.

قطار سريع إلى المرض ظهر فجأة، تقافزت إليه الدجاجات رغما عنها..

توالى اصفرارها وذبولها وتوقفها عن تناول الغذاء، وعندما تشرع الشمس تدريجيا فى الغروب، تؤوب الدجاجات إلى ركن هادئ حيث تواصل الهزال والوهن، حتى لا تجد الروح مفرا من الرحيل عن جسد فقد كل ما يعينه على البقاء.

فى الصباح تعثر عليها محبات جافة تماما كأنها لم تعرف الحياة يوما.. دمية من خشب وريش، سيئة الصنع، تخبط على صدرها ولا تملك إلا أن تلقى إلى الكلاب الضالة أربعا أو خمسا من أحبابها.

لطالما ربَّت دجاجا فى البيت، ولم تهاجمها الكوليرا أو تصيبها عدوى أو يمسها أى وباء مما يصيب الدجاج فى كل بيوت القرية، لطالما كانت فى معزل عن هذه المصائب، لأن بيتها أول بيت فى القرية وقبلها وخلفها الحقول، يقع فى المدخل البحرى، فلا يتلقى منه إلا الهواء النظيف، ولا تأخذ عن القرية هواءً مرَّ بها.

راحت الأفراخ وراحت معها الحياة الشقية العابثة والمرح الجميل وأبقت - وياللغرابة - ديكا واحدا يكبر ويكبر ويتضخم، وكأن الله أراد أن يخفف عنهما العذاب لفقد الأحباب، فاستبقى هذا الديك العجيب الذى خرق قوانين النمو.

الديك يكبر كل يوم بفارق واضح عن اليوم السابق مع أن وجبته محدودة.

رأته محبات ينقر برصا على الحائط. يسقط على الأرض، يمزقه بمخالبه. يلتهمه فى ثوان، ولم تره عندما طار فحط بمخالبه على فأر وظل

تحت المخالب يتلقى نقرات حادة من منقاره حتى انقطعت صلته بالحياة ،ومضى الديك يمزقه فى أناة، لكنها رأته وهو يصطاد سحلية، وحكت ذلك لرشوان، فرد عليها بأنه رأى العصافير تقف على ظهره فلا يمسها ويحط الحمام الغريب أمامه فلا يلاحقه، ويكتفى بالابتعاد فى هدوء حتى يسمح له بالتقاط الحب.

دفع الدكتور رمزى البوابة بحرص وحذر، وكأنه يود ألا يشعر به أحد. مسحت عيناه الفناء كله.. تمنى من كل قلبه أن تكون الدجاجات اختفت هنا أو هناك، واتفقت فيما بينها أن تجعلها له مفاجأة، وأن تكون قد شفيت جميعها بعد أن حقنها وتناولت الدواء الذى لابد وضعوه فى المساقى.

ليته يراها الآن تخرج عليه بغتة من أحد الأركان لتقفز فوقه وتنقره نقرات الحبة، وتلتف حوله مرحبة بالذى كان سبيلها إلى الشفاء.. لا أثر.. مط شفتيه.

لم يقدر لها أن تعيش.

استدار الديك الكبير إليه. بقى فى موضعه وقد عرف فيه شخصا غير جدير بالطرد أو الهجوم. رفع رأسه لأعلى مستمتعا بتاجه الأحمر المتألق وبدا واثقا أن ليس لأحد مثله، غدا طوله فى ارتفاع السور.. لاحظ ذلك الطبيب.. همس فى أعماقه.

- حوالى المتر ونصف المتر.. إنه حى وليس تمثالا.. ماحكايته؟! لم أشهد فى حياتى مثله.. لقد قرأنا عن ديوك كبيرة جدا فى بعض البلاد وفى التاريخ.. لكن ذلك الديك غريب.. ظاهرة جديرة بالدراسة.. استمر يتأمله لحظات!

هل كان ينظر إليها من النافذة. لقد تمثل لها وهو يحدق خلال الزجاج بينما كانت فى الفراش إلى جوار زوجها.. المساء يسدل ستائره على الكون كله. الظلام يعم إلا ضوء خافت يبعث به قمر لايزال فى ليلته العاشرة.

هل يمكنه عوده الفارع من أن يبلغ نافذة غرفة نومها التى تطل على الفناء الخلفى للدار.

كان رشوان يغط فى النوم، أما هى فقد ثنت ذراعها تحت رأسها وشردت تفكر فى أشياء متفرقة.. حملها زورق الأرق من قاع بحار النوم العميقة إلى شواطئ اليقظة الملعونة.

أختها هانم يصر زوجها على أن يطلقها بحجة أنها لا تطيعه فى شىء أبدا.. إذا قال الشرق قالت الغرب وإذا أراد الغرب أصرت على الشرق.. تعب معها الأهل لأنها تتدلل وتعاند فى كل الأمور، لكن المسألة لا يتعين أن تصل إلى الطلاق. ما مصير الأولاد الأربعة.

- عيشى يا بنت الحلال ومشى أمورك

- أبدا

على ثقة هى أنها لم تكن غافلة، أو غارقة فى غيبوبة النوم عندما رأت منقاره وعرفه خارج النافذة، ومسحة من الضوء الفضى الباهت تسقط على صفحة وجهه اليسرى، فتلمع عينه، لماذا كان يواصل محاولاته التحديق عبر الزجاج.. هل كان يود أن يراها.. يراها هى.. لم يفلح ولاشك لأنها فى العتمة.. ساورها هاجس غريب ومجنون.. هل أيقظها الأرق لتراه

وهو يحاول أن يراها!

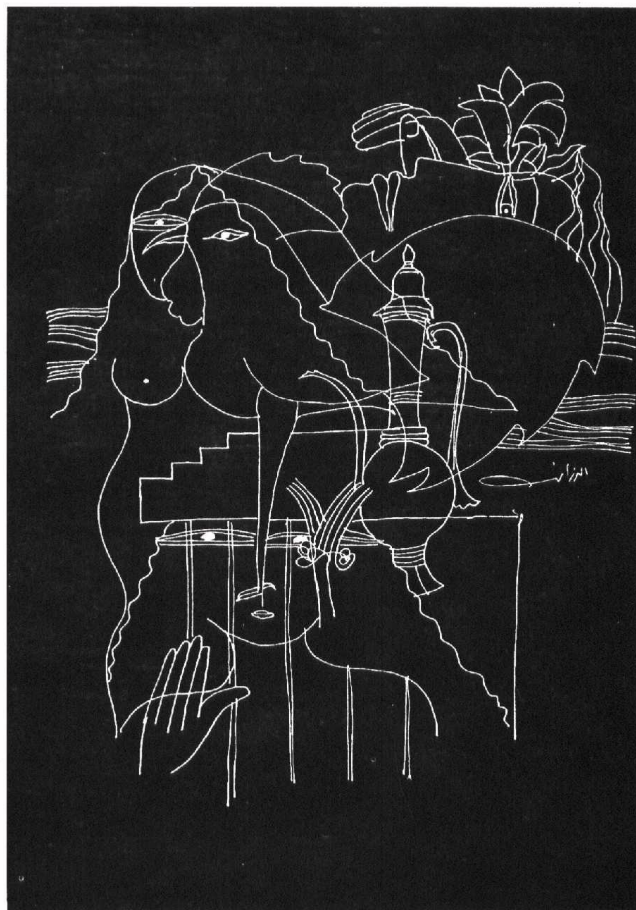
ـ كيف يمكن أن يظل هذا الديك ساهرا حتى منتصف الليل؟ ولماذا يحاول أن ينظر خلال النافذة حتى ليصطدم منقاره بالزجاج؟ هل تراه يود أن يطمئن علينا؟ أو ربما يريد رشوان في أمر ما؟

ظلت مفتحة العينين تعبث برأسها الأفكار هنا وهناك.. تتمثل لها فروع الشجر وقد سقطت عليها أنفاس القمر، وداعبتها النسمات فمالت الغصون السكرانة بالوجد الليلي الفاتن.

في الصباح خرج رشوان إلى الجمعية الزراعية.. بدأت محبات برنامجها اليومي داخل شقتها.. فتحت نافذة الصالون.. وقعت عيناها على الديك.. كان يرنو في حنان إلى العصافير وهي تتقافز فوق الأغصان وعلى الأرض وأطراف الأسطح.. تبدو في عينيه الدهشة إذ يراها تزقزق وتتلاثم وتفر في مرح وحبور وتتشاجر في ود لذيذ، وهو يقف وحيدا بلا تغريد ولا قُبل، ولا حتى رفقاء يبادلونه المرح.

طال وقوفه وهي ترقبه، وقد بدت ملامحه في عينيها كملامح قط.. تذكرت أنها منذ أيام طالعت في وجهه ملامح صقر، قبلها رأت على محياه ملامح حمامة هائمة.. لكنها في الأغلب ترى في وجهه ملامح الأطفال.. وعندما ينظر إليها.. تغزوها نظرات الحنان فتخطف روحها لحظات وتنفك العرى التي تربطها إلى ما حولها.

نفضت عنها الكوابيس واندفعت تنفض الأثاث، وتكنس البلاط وتمسحه.. غيرت الملاءات ومضت إلى المطبخ فغسلت الأواني والأرضية.. حملت الراديو الصغير.. كانت أغنية على وشك أن تبدأ.. يسبقها تصفيق مُوقَّع بالأكف.. وضعت الراديو على شباك الصالون المطل على الفناء.



غسلت القلل وملأتها.. رصتها فى الصينية النحاس. حطتها على الشباك فى سكة النسمة.. روَّت شفاهها بمياه الورد.. دعكت الأغطية النحاسية بتراب المحمى. تألق نحاسها وبدا ذهبا يلمع.. وضعتها كالتيجان على رؤوس القلل.. تراجعت ألقت نظرة أخيرة على طلعة القلل ثم ابتعدت مسرورة، تصاحب الموسيقى خطواتها الراقصة.

خرجت إلى الفناء.. هرست كمية من الخبز المبتل.. وضعته للأوز والبط.. حطت للخروفين حفنتين من الذرة وحفنتين من الفول مع الردة والتبن.. سحبت المكنسة الليف وأخذت تكنس الأرض التى حملت إليها الريح أوراق الشجر الجافة.. لمحت أبو عرف يتراقص برصانة على أنغام الموسيقى.. تأملته لحظات سعيدة ومندهشة.. اعتبرت رؤيته اليوم بهذه الحالة اكتشافا جديدا ورائعا.. هل تراه يحس بالموسيقى إلى هذه الدرجة.. لم تر حيوانا رقص على الموسيقى إلا الحصان.. هكذا كان جواد أبيها.. لكنها لم تر ديكا مثل هذا الديك.. ما أسعدها بما تملك.

واصلت محبات الكنس، وكل جسمها آذان تحس وتسمع وتردد الأغنية مع عبد الحليم الذى كان يغنى.

قولوا له.. قولوا له .. قولوا له الحقيقة
بحبـــه، بحبـــه .. مـــن أول دقيقــة
قولـوا لـه بحبــة .. ومتوهنــى حبـه
فى بحوره الغريقة
أبـو عيـون جريئة

وضعت الصفيحة فى حوض الطلمبة وأمسكت يدها. رفعتها فى قوة

وخفضتها. انطلق الماء يجرى من فوهة الطلمبة كنهر صغير يتفجر بحماس ويسقط فى الصفيحة.. ترفع اليد وتخفضها، والنهر يتلوى رشيقا وشفافا ينثر رذاذه فى اندفاعه من الفوهة المعدنية. تأملت الماء الفرحان.. ينطلق كموسيقى الأمل.. اقتحمها الحلم من جديد.. الحلم الذى رأته.. ليلة الأمس..

همست: خيرا.. اللهم اجعله خيرا.

استشعرت الظمأ بغتة، جف حلقها.. أسرعت ترفع القلل واحدة بعد الأخرى.. لم تسقط منها نقطة واحدة.. الزير فارغ.. اندفعت إلى الصفيحة المغطاه بالمطبخ.. فارغة.. إلى الفناء، خرجت مسرعة.. مضت توا إلى الطلمبة.. لم تكن هناك، استدارت عازمة على اللجوء إلى الجيران.. تلهث بشدة.. الظمأ يتصاعد ويتشبث بروحها وقلبها.. فى وسط الفناء ألفت نافورة، يفور ماؤها، ويتعلق على رذاذه المرح فتات من ضوء الشمس.. الماء يتقلب ويرقص.. يبرق وميضه.. تنهدت محبات فرحا.. تقدمت منه.. لكن سورا من الأعمدة الحديدية مدببة الرؤوس انتصبت أمامها.. دارت حول السور فاتحة فاها لتلتقط الرذاذ المتناثر، بينما جسدها يتقافز فوق أرض جرداء ساخنة.. تلهبها اللهفة والانتظار.

استعادتها من حلمها الموسيقى وامتلاء الصفيحة.. تحولت إلى المساقى.. تنحنى على كل واحدة تغسلها وتنقلها من موضع بلله الشاربة إلى آخر جاف.

انحنى الديك فوقها.. يعانقها من الخلف.. يحيط جسدها بجناحيه حتى اختفت تماما بين أحضانه.. سقط قلبها فى قدميها.. أوشكت أن تفقد وعيها.. الدنيا بها دارت ولفت، لكنها ظلت ساكنة ومتوترة والقلب

بعنف يدق ويدق، هى بكل عيـونهـا تحـدق فى اللاشىء.. تحـاول أن تستوعب حقيقة ما يحدث.

عدلت نفسها واستقامت، لم تتحرك.. ظل يحيطها بجناحيه..

ناعما كان ريشه، ودافئا كان صدره، وثمة حنان آسر يتسلل إليها.. لم يكن ثمة ما يزعج فى عناقه لولا غرابته، ولولا أن السور المحيط بالدار لايتجاوز المتر ونصف المتر.. مسحت الأفق كله بنظراتها.. حمدت الله أن أحدا لم يرها.. كان الفضاء اللئيم يحنو عليها ويتواطأ حتى لا يراهما مخلوق ولو كان يقبع خلف خصاص النوافذ.

برق فى وعيها هاجس شيطانى غريب، ماذا لو رأى أحد ديكها يفعل معها هذا؟... ألم يكن الأجدر بها أن تخشى وقوع عين عليها وهى فى هذا الوضع.

بيديها حاولت أن تبعد جناحيه، تمسَّك بها، ولم يسمح لها بالتغلب عليه.. استشعر أنها تبذل جهدا مضنيا كى تبعده عنها.. لم يرد أن يفجر غضبها.. خفف تدريجيا حصار جناحيه، دارت وواجهته وهى لاتزال فى مدى جناحيه. ضمهما عليها.. من جديد اختفت بداخله وحط رأسه فوق رأسها، وماعاد لها بالدار من أثر.

كانت محبات تقريبا ولعدة مرات قد أوشكت أن تضيع فى غيبوبة من هول الدهشة، بل من هول الدهشات.. عالم متواصل من الدهشة والجنون يتقلب فيها وتتقلب فيه. بروحها وقلبها وجسدها وعقلها وحواسها.. الدهشة تتولد واحدة بعد الأخرى فوق فرن الأسئلة الساخن البارد. الحارالرطب. الطرى الصلب. المعتم المضىء.. الواقف الجارى. النائم الحالم، الحى الميت، الضائع الموجود.. وليس ككل وجود وأى وجود.

مبهورة.. مسحورة.. خائفة.. مضطربة.. رافضة.. راضية.. غاضبة.. مبتهجة.. كانت وتكون وستكون.. لكنها فى كل الأحوال مستسلمة لما يجرى، ولم يكن ثمة خيار آخر.. فى نظرها.

أخيرا.. شرعت بعض الأفكار المضطربة تداخلها وهى جنينة داخل هذا الكيان الريشى.. كانت تدرك أن حجمه كبير بشكل غير عادى، لكنها لم تتصور أنها يمكن أن تختفى فيه.. إنها طويلة وممتلئة الصدر والردفين كما أنها عريضة الكتفين.. الآن فقط يمكنها أن تتأكد أن وقوفه بالليل تحت نافذة غرفة النوم كان لأجلها هى.. الآن فقط يمكنها أن تجد التفسير المحتمل لمنظره وهو يبحث عنها فى الليلة الماضية.. مؤكد كان يبحث عنها.. وليس من بأس أن يبحث عنها، فالطيور تعشق أصحابها، أما أن يعانقها فلم تتصور ذلك البتة.. كيف يمكن لديك أن يعانقها على هذه الصورة؟ وهل يعرف معنى العناق؟ كيف يعرفه ولم يتدرب عليه، ولم يشهد أحدا يفعل ذلك لا من بنى جنسه ولا من بنى جنسها.

- هو لم يرنى مع رشوان فى أى وضع.. لاذت قليلا بالصمت الحائر ثم تساءلت: هل يجد لذة فى ذلك العناق؟ وإذا كان يجد لذته مع أنثى من البشر فكيف تناهى إليه ذلك.. كيف نبتت فى أعماقه هذه الفكرة، ولماذا لم يجرب مع الدجاجات أو مع الأوز أو البط؟!

إنها الآن مدفونة فيه، تنام فى سرير صدره الوثير، وتتقلب على نبض قلبه الدافىء، إنها فى عالم آخر وليس غيرها فى عالمها.. قد نجد قطا فى حضن كلبة، أو كلبة فى حضن ذئب، وقد يحكى لنا البعض عن شبل أسد فى حضن نمر أو بين أحضان فيل، وقد نرى نعامة فى حضن زرافة أو دجاجة.. أوزة.. بطة فى حضن إنسان.. أو.. أو، لكننا أبدا لم نر بشرا

فى حضن حيوان. والأهم أن ذلك لم يحدث مطلقا.. امرأة فى حضن ديك.. يحتويها تماما حتى تختفى ولا يظهر منها أصبع أو شعرة من رأس.

كان لابد أن تتساءل عن مدى شعورها بلذة ما.. حاولت أن تكثف وعيها ولا وعيها وتفتش فى أعماقها بدنيا وعصبيا عن إمكانية استشعارها لذة ما.. أغمضت عينيها واستجمعت كل بدنها.. ضغطته وكورته.. غدا كرة من الاعصاب الدقيقة المرهفة استقطبت إليها كل حواسها النفسية والغريزية وركزت انتباهها لاستقبال أى إشارة عن تحقق أى متعة.

أيقنت أنها لا تشعر بلذة، لكنها تحس براحة غريبة إنها تود لو تبقى هنا إلى الأبد.. فى روحها تنبت لحظات من الصفاء الخرافى وهى داخل عش أحضانه. وهو صامت دافىء، ينبض بدنه ويردد ما يشبه الهمهمة.. تنفذ فى بدنها فتردد أصداؤها لغة بليغة يعيها القلب ويشربها.

خفف عنها حصار جناحيه.. بقيت بين أحضانه مغمضة العينين مغشيا عليها، أو مخدرة بعد أن سبحت طويلا فى بحار الدهشة.

ضم عليها الجناحين وتنهد سعيدا لأنها لم تهرب عندما رفع عنها الجناحين لحظات.. جرب أن يغمض عليها عينيه حتى يكتمل الاندماج والتوحد. ذابا معا فى كيان واحد صامت وساكن.

هل كانا يفكران فى شيء واحد؟ هل كان ياترى إحساس واحد يجتاح روحيهما؟ هل كان الديك فى الصومعة التى تشكلت من الريش الملون فى ركن الفناء يحاول أن يحيلها إلى دجاجة، لتنسجم مع جنسه؟ هل كانت هى التى راضية سلّمت بدنها لتديُّكه، لعلها تترك عالم البشر، وتغدو

كائنا ملائما له، يتحقق لها معه مالم يتحقق مع بنى جنسها.

لماذا لم يتمهلا لتأمل اختلاف الطبيعة؟.. أم أن الديك قبلها لم يؤمن بذلك، ولم يعتد بأى فواصل وتقسيمات. لابد أنه احتسبها وهمية، وعدَّها خرافة من الخرافات، فقفز فوق أسوارها بجسارة، مستجيبا لنداء الغريزة.

كيف أدرك هذا الطائر المنفلت من أسر القالب أن الغريزة لغة عالمية تفهمها جميع الكائنات التى مستها إرادة الله؟! كيف تصورها على أنها موسيقى تتردد بلمستها الإيقاعية على أوتار الروح فتطرب لها الأبدان وتلتقى، تتعانق.. تتلائم.. ترتبط.. كيف؟لايهم ذلك الكيف.

لغة عالمية تدركها أعماق العصفور، كما تدركها روح الفيل وتهتز لها أعصاب الجياد، وتهفو لها خلايا الكلاب.. وترسمها الأسماك موجا صغيرا ورشيقا فى البحار والأنهار والترع.. إنها نفس اللغة التى ترددها النمل والنحل والجرذان والأرانب والأسود والنمور والغزلان والحيتان والنسور.. هل تعتبر محبات شريكة فى الثورة أم مجرد رفيقة وصاحبة.. هل خطر ببال أحدهما فكرة من هذه الأفكار، أو حلما من هذه الأحلام؟!

أين اليقظة وأين الحلم.. أين الاسطورة وأين الرؤية.. أين الوهم وأين الحقيقة؟ اختلط كل شيء فى لحظة ممتدة من زمن غائب وسكون حاضر، وقد أتيح للفطرة أن تنتصر على كل شيء وتقدمت فى غيبة كل عقل أو وعى أو تبصر. تمكنت من أن تحكم العالم بلمسات رقيقة من الحنان والعفوية والمتعة التى تتوزع مصادرها على خلايا الأبدان والأرواح والأعصاب والحواس.. ذابت الموجودات فى فيض العشق الطبيعى المحموم.

ذوبى أيتها الأرواح.. ذوبى وتلاشى، واتحدى يابنيات الطبيعة،

وتدريجيا عودى إلى رحم الأم الخالدة.

* * *

لم يشعر الديك بدخول رشوان ووقوفه لحظة وسط الفناء وتطلعه إلى المكان كله. ولم ينتبه إليه حتى وهو يمضى إلى داخل البيت.. بعد لحظات أفاق الديك على صوت رشوان ينادي محبات، كان الراديو مفتوحا على نشرة الأخبار..

لم تسمعه محبات، فضل أبو عرف ألاَّ يتسبب فى مشاكل عائلية. فتح بوابة جناحيه على مصراعيها، ورفع غطاءه عمن تسكن قلبه.. سمعت محبات نداء زوجها. خامرها شعور مبهم أنها تعرف صاحب هذا الصوت. انطلقت إليه فى نصف وعى.. كادت تقع على عتبة البيت.. أسكت رشوان الراديو، حمله إلى الداخل وأغلق النافذة.

تنفست بعمق قبل أن تخطو إلى الردهة.. ضربت بفكرها تبحث عن الكذب المزوق قبل أن تلتقى برشوان، لابد أنه سيسألها أين كانت.

قالت له وهى تواصل تعثرها واضطرابها مكبلة ببقايا خيوط الدهشة دون أن تكتشف أنه لم يسألها..

- لقد كنت عند الطلمبة أطعم الخروفين.

ما إن أتيحت لها الفرصة المقبولة والمبررة للتخلص من رشوان بالتوجه إلى المطبخ، حتى عادت تسأل نفسها عن هذا الديك المجنون، وعما جرى منه.. وعن أملها ألا يكون رشوان قد لمحها على أى صورة مخلة.

مطلوب هدوء شديد جدا وتركيز ذهنى تام، والتأكد أولا أن ما حدث كان فى الواقع وليس فى حلم.. واقع حقيقى وملموس.. إذ لايزال العقل

لا يصدق، عندما عثرت عليه أخيرا وأعادت على صفحته ما حدث، أو ما اعتقدت أنه حدث.

كانت بداية الطريق صفعة على الوجه.. رأت أن صفعة واحدة غير كافية، صفعة أخرى وقرصة فى الفخذ.

تناولت الغداء مع زوجها وشاركته الفراش، كانت تستشعر رغبة فى مواقعته، ومع ذلك ظلت تفكر فى الديك وانتهت إلى أنه - كما كانت تسمع من حكايات الأجداد والأقدمين - يمكن أن يكون رجلا سخطته إحدى الساحرات.

استسلمت للنوم عريانة بجانب زوجها.. لم تستطع أن تمد يديها إلى ملابسها الملقاة على الأرض.. واكتفت بفرش ملاءة فوق البدن المخدر.. أفاقت على أنين ضلفة دولاب الملابس. كان زوجها يرتدى الجلباب الصوفى والعباءة.. سألته عن سر ذلك.

قال: لقد جاء الآن خبر عن وفاة الحاجة نجية أخت زوجة العمدة. تركت لك مياه ساخنة فى الصفيحة..

لم تستطع النهوض ولم تتحمس له.. خرج رشوان وأغمضت محبات عينيها تستمرىء حالة من الخدر اللذيذ.

عندما فتحتهما فجأة بعد لحظات أو سنوات.. كان الديك فوقها. دفعته عدة مرات، وأعماقها المفزعة تسأل دون مجيب.. كيف دخل عليها؟.. هل ترك رشوان الباب؟ كيف تجاسر.. كيف صعد إليها؟ لماذا به لم تحس.. غريب.. كل شىء غريب.. بهدوء شديد أزاح الملاءة.. بهدوء شديد حط على بطنها.. كانت فى غمرة الدهشة حتى أنها لم تستقطب كل قواها لإلقائه بعيدا أو لطمه على وجهه، أو حتى نتف ريشه.. كانت

مشغولة باكتشاف التجربة.. طبيعتها.. مذاقها.. تأثيرها.. بدايتها ونهايتها.

ما الذى كبلها على هذا النحو المشبوه؟.. ما الذى حرضها على هذا النزق؟ ما الذى سلبها الحماس للمقاومة؟.. هل اقتنعت بإمكانية اتحاد الكائنات الحية؟.. ليس بإمكان فلاحة بسيطة أن تفكر فى ذلك، أو على الأقل من النادر أن تشارك فى ثورة على هذا المستوى.

كيف فى يسر نفذ إليها وتسلل إلى عالمها الخبىء؟.. ما الذى دعاها للاستسلام حتى تعبث بين روابيها والضلوع أدواته الذكرية.. كيف ارتضت للديك أن يستبيح حقولها المستظلة بنخيل الشرف؟

تألق فى مقلتيها وهج الرعب تخالطه أطفال الدموع.. ها هو يمسها ذلك الديك الساحر، تتفجر فى روحها ينابيع الدهشة المستحيلة.. فتفزع وتضطرب أوتار عقلها الراسية، تفككت وتداعت فإذا بها فيه، وإذا هو فيها. يكتب اسمه على قيعان قلبها، وينادى على نفسه فى سراديب بدنها التى لم يكن لها من قبل أثر فى الخرائط.

# ( ٧ )

أصر العمدة على دفن المتوفاة، وعدم ابقائها حتى ظهر اليوم التالى كانت زوجته تود لو بقى الجثمان فى انتظار وصول الغائبين.. هاجمته الهواجس رعبا من المشاكل الكثيرة التى تتربص به فى الغد. طلبه رئيس مباحث المركز ليسأل عن الجثة التى وجدت منذ أيام على حدود قريته واعتبرها العمدة تابعة لقرية الرملة المجاورة، ولم يحقق فى ظروف الوفاة ثم ظهرت شكاوى تبعث الريبة فى طبيعة الوفاة.. وحتى الآن لم ينته من مشكلة الأرض المتنازع عليها مع أخيه.. وغدا جلسة الحكم وعليه فى الغد أيضا، أن ينتهز آخر فرصة ليعيد قيد ابنه فى الثانوية بعد أن قررت المدرسة فصله لطول غيابه.

همس الخاطر فى روع العمدة.

- غد مشحون ولعين.. وحرمنا المصون تريدنى أن انتظر حتى أدفن أختها.. نسوان لا تحس ولا تفهم.. هن فى عالم وأنت فى عالم.

أزعجه بكاؤها المتواصل.

- كفاية يا حاجة

من بين نشيجها ودموعها قالت:

- لو كان أخوك هو الذى مات لأبقيته فى البيت واتصلت بكل معارفك من أسوان إلى الاسكندرية.

- يا ولية حرام عليك

فكر فى ضم آخرين إلى صفه، قال لأختها الثانية:

ـ تكلمى يا حاجة فريدة.. أنت تعرفين الأصول.

وجدها تبكى فى صمت دون أن تعيره التفاتا، وربما لم تسمعه.. استفز زوج المتوفاة.. كان لابد أن يجد من يحارب زوجته معه.. وحده ربما يخسر المعركة.

ـ ليس هذا وقت البكاء يا شيخ ابراهيم.. طول عمرك رجل تعرف ربنا.. فهمها إن النبى أوصانا بسرعة دفن الميت.. ألم يقل إكرام الميت دفنه.. فهمها.. أنت أعلم منى.

تبادل الجميع كلمات قليلة، وتبرع البعض بعبارات مقطوعة الأنفاس، لا تحل ولا تربط.. ولا تشفى غليل العمدة.

أخيرا وجد الحل الذى يمكن أن يحسم الأمور وينهى المشكلة.

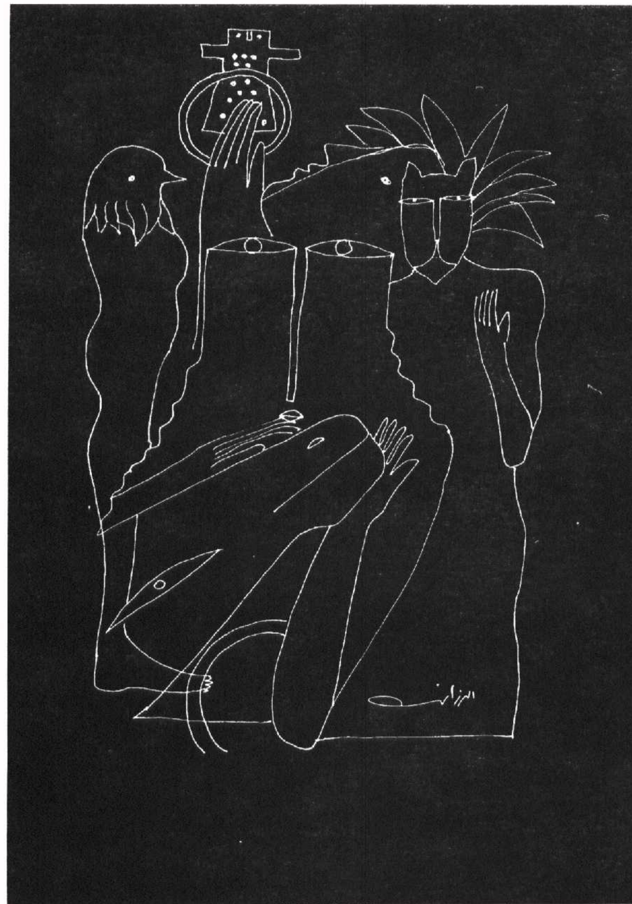
قال: ـ لك علىَّ يا سيدتى، أن أقيم لها سرادقا كبيرا يليق بها عندئذ جفت دموعها أو كادت.

قال رشوان فى سره:

ـ سرادق يليق بك يا حضرة العمدة وتبدو فيه أمام الناس وأنت بين الكبراء يعانقونك ويواسونك بحرارة.

ولم يكن رشوان رغم متابعته للحوار الدائر يرفع عينيه عن الشيخ ابراهيم.. تركته زوجته مخلفة تسعة أبناء.. كان رشوان طوال الوقت يفكر فيها، إلى أن وقع عليه نظر العمدة.. قال له:

ـ سمعنا أن لديك ديكا عجيبا.. أنت مسعد يا رشوان.. ربنا مريحك من العيال، وعندك مالا يوجد عند أحد.



همس رشوان

- الحمد لله

- أود أن أرى الديك.. ابعث به إلى

- شرفنا بحضورك وأنت تراه

دفنت المتوفاة ورشوان ظل يسأل نفسه سؤالا متكررا

- ماذا سيفعل الشيخ ابراهيم وحده فى هذه المصيبة؟

فى الوقت نفسه كانت محبات تؤكد لنفسها أنه بشر، ولماذا لايكون كذلك والسحر موجود والحسد موجود.. الملائكة موجودة والجنيات فى البحر موجودة وفى البر أيضا.

كان لابد أن تواصل فى السر التأكد من هذه المسألة، خاصة أن العلاقة تصاعدت وتوطدت وترتبت وانتظمت، وأصبح الديك له حقوق تفوق حقوق رشوان.. وتدريجيا لم تعد تفكر فى السبب الذى لا يجعله يؤذن، لم يعد الآذان بذى أهمية.. لقد آمنت بأنه لابد كان فى الأصل إنسانا.

بعد أن جلست قالت له:

- لابد أنك تعلم يا شيخ برهام أن لدينا ديكا كبيرا.

- أعلم

- أشعر أنه ليس ككل الديوك، فهو كبير جدا فى حجم الرجل الضخم

- بسم الله الرحمن الرحيم «وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون» صدق الله العظيم.

- لكنه لا يؤذن

- حكمته

- أنا أظن.. مجرد ظن

- وبعض الظن إثم

توجست محبات من عبارة الشيخ، لكنها استأنفت:

- يهيأ لى إنه بنى آدم مسخوط. ما رأيك؟

- ما معنى مسخوط؟

لاح عليها الاضطراب، مضت تبحث عن إجابة

- كانت أهالينا تقول إن بعض الناس يملكون القدرة على السحر، والسحر ورد فى القرآن.. والسحرة يستطيعون أن يغيروا شكل حيوان إلى صورة إنسان أو العكس.

- استغفر الله العظيم.. عدد المجانين فى ازدياد مطرد..

- أفتنى يا شيخ برهام.

- كلامك معناه أن هناك غير الله من يخلقون ويغيرون فيما خلق الله أى أن الله له شريك ومنافس ومثيل.

- استغفر الله العظيم.. لم أقصد هذا أبدا.

- إذن ماذا تقصدين؟

تمتمت:

- يادى المصيبة.. يبدو أننى سأسبب مشكلة

- ماذا تقصدين يا امرأة رشوان؟

ـ أنا فقط مندهشة

ـ لا تندهشى أبدا واذكرى الله.. لأنه لاخالق غيره، حتى الإنسان إذا خلق شيئا، فإنما يكون تحت عين الله وبأمره.

ـ وديكنا يا سيدنا

ـ ما به؟

ـ كبير جدا

ـ فضل من الله

ـ ولا يؤذن

ـ ألا تسمعون آذان الفجر فى المسجد؟

ـ أقصد لا يصيح

ـ هل ينقصنا صياحه؟!

ـ ...

ـ هل يؤذيكم؟

ـ لا

ـ لماذا إذن نبحث عن القلق؟.. دعوا الخلق للخالق.

ـ كنت أحسبه مسخوطا حسب قول ناس زمان

ـ ألم يخلق الله طفلا برأسين، وثانيا بستة أصابع، ألم نسمع عن سيدة أنجبت ستة، وسمعنا عن ذكر أصبح أنثى وأنثى انقلبت ذكراً.. معجزات الخالق لاتنتهى ولا تقتصر على الأنبياء.

ـ فهل أطمئن؟

- لا تتحقق الطمأنينة إلا إذا فوضنا الأمر لله

- شكرا يا سيدنا

هل أفادتها بشئ زيارتها للشيخ. مضت تفكر فى كلامه.. إذا كان لها من فائدة فهى أن تنزع من قلبها الحيرة حول ما إذا كان ديكا حقيقيا أو إنسانا مسخوطا.. المهم أنه كائن جميل يؤنس وحدتهما ويملأ عليهما البيت.. ويسليها فى غياب رشوان ولها فيه مآرب أخرى.

لقد عرضت عليها أمها أن ترسل إليها قفصا من الدجاج بديلا عن المفقود، لكنها طلبت منها التمهل. لا تعرف ما هو السر وراء ردها هذا.. ما الذى كان يدور فى أعماقها وعقلها الباطن؟

من بعيد رأت دارها وقد علا السور، بُنى بناء حديثا جميلا وفى وسطه بوابة حديد سوداء يغطيها من الداخل زجاج سميك يمنع رؤية من بالداخل..

همست محبات: كان قدم السعد علينا.

ما إن فتحت البوابة حتى طالعها الملك، أصابها الفزع فى البداية وتفلت فى عبِّها، لكنها ضحكت ولامت نفسها أن بدرت عنها مشاعر الفزع لرؤيته.

وقفت تنظر إليه وهو إليها ينظر.. قالت له:

هل أكلت؟

- هز رأسه هزتين من أعلى إلى أسفل.

فغرت فاها دهشة وسعادة لأنها دون أن تقصد سألته.. وهى لم تسأله من قبل.. لماذا سألته؟ سبحان الله، لقد أنطقها وألهمها أن تسأل من لا

يُسأل، فإذا به يجيبها بهزة من رأسه.

ـ هل تسمعني؟

أومأ بالإيجاب.

صرخت وقفزت وصفقت.. ومضت ترقص:

ـ أنا كلامي صح.. أنا عندي حق.. أنا كلامي صح.. أنا عندي حق.

عادت تسأله:

ـ هل تفهم كلامي؟

أومأ بالإيجاب

من جديد قفزت ورقصت وصفقت، واحمر وجهها فرحا ولمعت عيناها بالسعادة التي فجرتها روعة الاكتشاف المذهل.

ـ إنه إنسان مسخوط.. كلامي صحيح وكلامك يا شيخ برهام خطأ.. خطأ كلامكم كلكم خطأ.. أنا سعيدة لأن ظني طلع في محله، وسعيدة جدا لأن عندي إنسان مسخوط، آمره فيطيع.

هدأت لحظات بينما ظلت عيناها تبرقان بوميض الدهشة والفرح اللانهائي.

في هدوء همست:

ـ يبدو أنني عبيطة.. كيف يعرفون أنه مسخوط، أنا أقول ذلك لأني اكتشفته، وهل ما فعله معي هذا العفريت كان فعل ديك.. من أنكروا أنه مسخوط لم يبلغهم مافعل.

هي لم تحب رشوان. قال لها أبوها ـ وكان حيا ـ تزوجيه فتزوجته.. ابن

حلال، لكنه لا يحيل النطفة - بأمر الله - إلى ولد أى ولد، وعشقها للولد هو الجنون.

تصورت - أكيد مجرد تصور - أنها ترى فى عيون الديك ولدا قادما يشبه وردة لها أجنحة تطير خارجة من عروش قلبه متجهة مباشرة إلى بطنها.. رأت الوردة ذات الجناحين تصطدم بقاع بطنها وترف أصداؤها فى الخلاء الموحش.

تذكرت أنها رأت الديك فى المنام منذ عام، وكان رجلا فارعا رفيع العود.. رأسه على شكل ديك.. قال لها:

- جمالك زيادة وأنا قلبى اتفتن.

هو اختفى وهى استيقظت من النوم مشمولة بالرعب.



## ( ٨ )

مات رشوان فجأة.. سقط من طوله، لم تعرف لماذا مات؟ أمن شدة الفرح أم من هول الحزن.. كانا يقفان فى حجرة النوم.. قالت له: عندى لك خبر سوف يسعدك.. خبر انتظرناه منذ تزوجنا.. تحول بنظره إليها.. توقف عن التنفس.. رغب فى أن يعمق الصمت. صمت تام يشرنق الكون كله.. استبعد أن يكون الخبر ما تمناه سنوات.. هل أذن بالقدوم.. هل يمكن أن تكون قد حملت؟ هل شاء الله لى أخيرا أن أنجب؟

تماسك.. تنهد.. قال: ما هو الخبر؟

- حَزِّر

- غلب حمارى

ضحكت وضحك رغما عنه: ليس بسرعة هكذا يغلب حمارك.. حَزِّر.

- صحيح.. غلب حمارى

- أنا على أية حال لا أريد أن أحيرك.. أنا.. حامل

اتسعت عيناه بالتدريج، فغر فاه بالتدريج.. اصفر لونه بالتدريج.. وسرعان ماتهاوى دون كلمة.. صرخت:

- رشوان

أمسكت يده.. لا حركة.. لا صوت.. لا نبض.. صرخت.. ولولت.. جاء الناس والأهل والطبيب.

- البقية فى حياتكم

- مستحيل.

عرف أهله وأهلها أنه مات من شدة الفرح.. مسكين لم يحتمل الخبر.. حكت لهم ما حدث بالحرف.. ماذا كان عليها أن تفعل؟ لم تصدق أذنيها عندما بلغها أن أخاه بعد عدة أيام مضى يشيع أنه يشك فى الحمل وأن الجنين الذى فى بطنها ليس ولد أخيه.. وكيف يكون ولده والأطباء أكدوا له انعدام الأمل.

فى إحدى الليالى طرق الباب عليها أخوة رشوان الذكور والإناث مدججين بالعصى والغضب.. فتحت لهم محبات.. دفعوها جميعا وانقضوا عليها يوسعونها ضربا وركلا وجذبا لشعرها وعضا لكل أطراف بدنها، وهى لا تستطيع أن تصرخ لأن فوقية كانت قد بدأت مهمتها مبكرا وهى كتم أنفاسها، فى حين قبضت أختها الثانية على الساقين - وتفرغ الآخرون للعمليات الفنية..

حاولت فوقية العانس أن تستبدل يدا بيد. تمكنت محبات من تجهيز أسنانها واستقبلت بها اليد الجديدة، تخلت فوقية عن الفم ثانية لتتألم وتسبها. كان ذلك كافيا لمحبات كى تصرخ بكل كيانها.. استيقظت من النوم فزعة مستعيذة بالله من الشيطان الرجيم، ومستعيذة من هذا الكابوس الذى لم تر مثله فى منامها من قبل.

طيلة النهار بقيت تفكر فى الكابوس ومعانيه.. فتحت بابا فى يقظتها للهواجس. شرعت تطرح الأفكار التى تستطيع أن تقنع بها رشوان إذا حدث - لا قدر الله - حمل من هذا الديك الذى ضاجعها مرات.

لاتستطيع اليوم أن تقول: وهل من المعقول أن تحمل من ديك؟ كل شىء أصبح صالحا للتصديق.. لاشىء غريب كما قال الشيخ برهام. كانت

الدهشة فقط أيام زمان، وانتهى عصر الدهشة.

كانت السماء إذا أمطرت والشمس مشرقة نظل لسنين ندهش.. القطار عند ظهوره أثار دهشتنا، والسينما والعمليات الجراحية والراديو.. كل ذلك كان ضربا من المتسحيلات.. هى لازالت تثق أن الديك بنى آدم مسخوط.. أخذ المقتدرين فى السحر استخدم سحره فى الانتقام من هذا الشاب، ربما تلبية لعاشقة أو زوج أو زوجة.

ماذا يحدث إذن لو برزت البطن وعلت بما تحمل؟ لابد من حل ذاهلة مضت تفكر، باحثة عن عمامة يلبسها رشوان راضيا.. لا أريد مشاكل أو خلافات ولا أريد فضيحة، كله إلا الفضيحة البلدة صغيرة، ولن يكون هناك مخلوق إلا ويعرف بما جرى، حتى الذين لم يولدوا ستنتقل اليهم القصص والأخبار، وأنا لا يد لى فى ذلك.. مكتوب ومقدر.

ركبت أرجوحة الأفكار. تطرح واحدة وسرعان ما تنسخها، تقترح وتكتشف عيوبا فتستنكر وترفض، يهديها العقل إلى فكرة جديدة تفرح بها، ولما تعثر بالثقوب تنزعها بلا ندم، إلى أن وجدتها ورضيت عنها وباتت الليل تزين فيها وتعد لها.

فى الصباح انطلقت إلى طنط الجزيرة. بلدة صغيرة تبعد نحو ساعة بالسيارة الأجرة.. عليها أن تركب إليها مرتين.. هناك رجل ذو صيت معروف قيل لها إنه متخصص فقط فى فك عقدة الإنجاب.. معها حملت.. بناء على نصيحة العالمين - منديلا من مناديل زوجها.

جلست أمام الرجل تجيب على أسئلته الخاصة جدا جدا أو عن ذهابه للأطباء، وما قالوه له ولماذا لم يحضر بنفسه.. أحضر الريشة والمحبرة ومضى يكتب على ورقة صفراء، ولما انتهى من الكتابة رسم أشكالا

مبهمة ودوائر فيها نقاط وعلى الأجناب سهاما، وفى الأركان رسوما أخرى صغيرة لاشكل لها، ثم أشعل نارا صغيرة غير التى فى الموقد أمامه.. وضع فيها المنديل، وبعد أن احترق نثر عليها قطرات الماء.. فانبثق عنها دخان بسط فى طريقه الورقة.. تعالى الدخان من الأغصان التى لم يكتمل حرقها واصطدم بالورقة.. قلب الورقة ليشرب وجهها الآخر من الدخان.. لحظات قليلة ثم أخرج من تحت مقعدته حجابا سقاه من الدخان، دعا محبات لتمسك الحجاب فوق الدخان طالبا منها ألاّ تتنفس.. طوى الورقة الصفراء عدة طيات ثم أخذ منها الحجاب ودار حوله بأصابعه النحيلة حتى عثر على فتحة.. دس فيها الورقة المطوية.

وضع بخورا جديدا ذا رائحة نفاذة فى الموقد الكبير ومرَّر الحجاب على النار حتى اطمأن أن البخور نفذ فيه.. قرَّبه من فيه وأخذ يهمس بكلمات.. طلب إليها أن تردد وراءه بعض الآيات والأدعية بينما الحجاب على قلبها.. رددت ماقال ونظراتها تنتقل بين حاجبيه الكثين وأذنيه الكبيرين، ولحيته البيضاء المتدلية تحت ذقنه فقط.

توقف وقال: على بركة الله.

دفعت له ماطلب وهى تستشعر الرضا. يخايلها توقع إيجابى لهذه الزيارة.

قبل أن يضع رشوان رأسه على الوسادة لاحظ شيئا بنى اللون يبرز طرفه.. أخرجه.. سأل محبات عنه.

قالت مندهشة: أهذه أول مرة تراه فيها يا رجل.. إنه هنا منذ شهرين وزيادة

سألها رشوان: ما هى حكايته؟

قالت فى غير اهتمام: مجرد محاولة.. تصبح على خير

التقط رشوان وهو فى طريقه إلى الجمعية بعض مكعبات السكر. توقف عند الديك. أمسك واحدة بين السبابة والإبهام.. رآها الملك. فتح منقاره.. قذفها رشوان فى حلقه.. استحلبها الملك.. هز رأسه ممتنا.. مسح رشوان على ظهره وذيله. نظر إلى ساقيه.. استدار عائدا إلى البيت. لمح محبات فى النافذة.. قال لها:

- إذا وجدت بعض الوقت فنظفى ساقيه..

أومأت برأسها موافقة.. خرج رشوان إلى الشارع، كان الملك قد بعث فى نفسه شعورا بالابتهاج. سعد به، وهو لايدرك أنه يعيث فى البيت عشقا.

أشعلت الوابور تحت الماء ومضت تنهى شئون دارها.. أطعمت الملك ثم أدخلته الحمام.. اطمأنت إلى حرارة الماء. نزعت عنها جلبابها وأبقت قميصا خفيفا.. مضت تغسل ريشه تحت الدش أحضرت من دولابها صابونة جديدة، كان أخوها قد أهداها لها مع بعض الملابس بعد أن عاد من عمان. صابونة لها رائحة قوية.. لم تدلك له بدنه بالليفة التى تستحم بها ورشوان، دلكته بقطعة من قماش الصوف قطعتها من جلباب رشوان القديم.. القماش له وبر ينظف دون أن يجرح أو يخدش.. شملهما بخار الماء حتى كأنهما يطيران بين السحاب.

بدأت بالعُرف والذقن ثم المنقار والصدغين والرقبة حتى المؤخرة والمقدمة والظهر والساقين والمخالب.. قاومته كثيرا وضربته عندما يحك عُرفه فى ثدييها ويدس بينهما منقاره، أو يرفع أحد ساقيه فينثنى داخل فخذيها.. ويضع صدره على صدرها، ويبسط جناحيه ويحتويها كما تعود أن يفعل.

تضربه مرة وتضحك مرات، لكن ذلك لم يمنعها أن تتقن عملها، كانت سعيدة تغسل بحماس أعضاءه، وعندما بلغت ظهره وهو الذى يكتسى بالجناحين. غسلته ريشة ريشة ظهرا وبطنا وهى تعدها واحدة واحدة، وتتأكد أنها كما أحصتها من قبل أربع وعشرون ريشة، يتجاوز أقصرها المتر طولا، غرفت بالكوز من سطل به ماء أقل حرارة.. أزاح الماء ماعليه من رغاوى الصابون.. عادت تسكب عليه الماء حتى رضيت عن نظافته، كان الضباب قد انقشع، وبدا الملك متألقا ومنتعشا.. سحبت الفوطة الجديدة التى علقتها على مشجب خلف الباب.. جففته.. طلبت إليه أن ينتظرها فى حجرتها حتى تستحم ولا يخرج حتى لا يصيبه البرد.

لما رآها تخلع ملابسها أصر على البقاء.. دفعته وهى تلعن تربيته السيئة. لامت نفسها لأنها هى المخطئة. لم تعلمه الأدب.. أخيرا خرج.

تخلصت محبات من بقية ملابسها وانطلقت تستحم.. كانت تجيد وتستمتع بالحمام.. تتقنه وتبدع فيه.. تخرج منه غير ما دخلت.. وها هى ترتدى ملابسها ثم تخرج.. الشعر مبلول على الخدين.. يضم بين جنباته السوداء الكثيفة طبق بنور، ملامحها الجميلة، حروف مكتوبة بالورد.. العيون فوقها نقط مرسومة رسمة الخلاق.. تنطق الحروف بمعانى وترسل رسائل لكل من عشق الجمال.. احضروا خالا.

رأت الملك يتأمل نفسه فى مرآة التسريحة الكبيرة. يستدير جانبا يتأمل ذيله ويفرد جناحيه ويرفع ساقيه ليراهما.. قفز فرحا حين اكتشف المرآة التى يستطيع كل مخلوق أن يرى فيها نفسه استقبل محبات بجناحيه.. دفعته عنها.. وأمسكت بزجاجة العطر فنثرت منها على كل أعضائه، ودفعته إلى الخارج. عاد محاولا عناقها.. دفعته قائلة:

ـ امش.. شعرى مبتل.

ما إن خرج حتى ظهر رشوان

سألته: هل رأيت ساقى الملك

ـ نعم.. يحتاج إلى النظافة مرتين على الأقل فى الشهر.

ـ كان الأوز والبط والدواجن السبب فى اتساخ الأرض، وقد ذبحنا آخرها أمس.. لم يبق إلا الديك الرومى.. الأرض الآن نظيفة.

ـ اليوم.. يمر ثلاثون يوما على بدء مشروع الملك السياحى وغدا سنحاسب العمدة.

ـ خذ معك حساباتك.. أنت تعرف كم شخصا حضر.

ـ وهل أعتمد على العمدة.. إنه يأكل مال النبى

ـ على كل حال.. المشروع حتى الآن غير مزعج

ـ أهم شىء أن يظل النظام كما هو.. الزيارة لاتبدأ إلا فى وجودى من الواحدة ظهرا إلى الخامسة مساء.

ـ العيب الوحيد أنها تمنعنا من الحركة أو السفر.

ـ ليست مشكلة، نترك مفتاح البوابة لأحد من أخوتك أو أخوتى.

ـ لا تنس أننا اتفقنا أن تشترى لى بالنقود ذهبا.

ـ اتفقنا

تكررت فى الأيام الأخيرة رغبتها فى القىء.. ماحسبته بالأمس.. ها هو الآن يتحقق.. الطمث انقطع إلا من نقاط محدودة.. قالت أمها.. هذا هو ما يسمى الطمث الغزلانى.

استعدت بالشجاعة الكافية لابلاغ زوجها.. جهزت أفكارها وإذا احتاج الأمر دموعها.

بعد الغداء.. نظرت إليه مبتسمة وأطالت النظر.. كان هذا خارج الترتيب.. لاحظ نظراتها وابتسامتها ووجهها الذى يعلوه البشر.

سألها: ماذا بك؟

قالت: أفكر فى اختيار اسم له.

قال فى دهشة: ماذا بك يا محبات.. اخترنا له من قبل

سألته: لمن؟

أجابها: الديك

فى شرود قالت: لا أقصد الديك.. أقصد شخصا آخر

ابتسم مستنكرا: شخص آخر

اتسعت ابتسامتها: أعز شخص فى الدنيا كلها عليك وعلىّ

مط شفته السفلى: فسرى كلامك

قالت: إرادة ربنا، جاءت على يد من صنع الحجاب..

لمعت عيناه وهمس: أنت؟

هزت رأسها ورموشها وقالت: نعم

تنهدت من قلب قلبها واستطردت: منذ أن عرفت وأنا

قاطعها: وكيف عرفتِ ومتى؟

حكت له ماطرأ عليها بالتفصيل وختمت بقولها:

- سوف أذبح الديك الرومى غدا.. أنا نفسى فيه



وقف وقال

ـ سأذبحه الآن

ـ دعه للغد

ـ وماذا تريدين أيضا ؟

ـ مانجو

ـ ليس هذا موسمها، لكن يمكن أن نرسل من يشتريها من أى مكان.

وقفت. دنت منه.. أطلت فى عينيه.

ـ هل أنت سعيد ؟

أخذها بين أحضانه.. كانت طبول قلبه تدق بقوة.. ظل صامتا يستمتع بدفء حضنها. شعر أن حضنها مختلف.. أبعدته بحنان عنها.

ـ أشعر أن الديك وشه حلو علينا.. صحيح أننا تعودنا وجود الدواجن والبيض وقد حرمنا منها، لكن هذا يهون مادام الله قد أهدانا هذا الديك الميمون.

ـ لا شأن للديك بهذا.. إنها إرادة الله، والكتابة البارعة التى وضعها الشيخ عوض الله فى الحجاب.. كتابة لاتخيب.. قالت لى نساء كثيرات: أكثر من يذهبون إليه من أجل الإنجاب.

ضحك وقال: متخصص فى العيال

تركته ونظرت فى المرآه تسوى شعرها.

ـ لم تقل لى.. لو ربنا أكرمنا بولد.. ماذا نسمّيه؟

ـ لا.. لا إياك أن تسميه.. أنا أخاف

ـ تريده ولدا أم بنتا؟

ـ لا تختارى ولا تفكرى فى النوع.. المهم يولد ويعيش بيننا ويحمله الديك على ظهره.. ويكبر.

تنهد واستطرد: الدنيا ستكون أجمل.. أجمل بكثير.

ـ فكم تحب أن يكون لك من العيال؟

ـ بعد أن يصل بالسلامة نفكر فى التالى

تقدم منها. عانقها وقبلها، وقبل أن يواصل الزحف فى اتجاه كوكب الشهوة هربت منه قائلة: اغسل أولا

غسل يديه وغسلت ثم التقيا فى الفراش ليدقا المسامير فى صندوق المولود حتى لا يتبدد هنا أو هناك.

رن جرس الباب بقوة.. كانا قد نسيا أنهما محرومان منذ شهور من نوم العصارى بسبب الزيارات السياحية.. ارتدى ملابسه وفتح للطارق.. كان سراج شرف الدين أحد أبناء القرية.. طالب بكلية الفنون الجميلة. جاء ليرسم الملك. أخذ منه التذكرة.. ألقاها فى صندوق التذاكر المغلقة خلف الباب وسمح له بالدخول.

خامرته رغبة أن يصلى لله ركعتى شكر.. لقد نسى الله طوال السنوات الماضية، وجرى فى سكة الإنجاب وحيدا عاريا دون أن يلجأ إليه، واستعان بكل شىء إلاه.. طالت يده الكثير من أموال الدولة التى أؤتمن عليها للصرف على محاولات العلاج.. مع ذلك ها هو الله ينعم عليه بالولد.

دق الجرس فأرجأ الصلاة.

## (٩)

كان بطنها ينمو بشكل ملحوظ.. يخرج إلى كل الاتجاهات.. يحرص رشوان فى كل ليلة أن يتحسس البطن ويسأل ساكنها

– متى تجئ؟ أنا فى انتظارك منذ عشر سنوات

ويغنى له أغنية عبد الوهاب

حبيبى ياللى خيالى فيك     حبيبى

ياللى حياتى ح تكمل بيك  حبيبى

– أود أن أراك.. فى شوق أنا أن أراك.. أريد أن أعرف ماذا أخذت منى، وماذا أخذت من أمك

عندئذ تنكمش محبات فى مرقدها وتتداخل.. ثم تخرج من قوقعتها قائلة: يقولون المولود أقرب إلى المحبوب، لا.. إلى من أحبه، لأن فيه قوة الحب.

يشرد رشوان لحظة ثم يقول: إذن سيكون أقرب إليك. لأنى

تقاطعه فى دلال: بل سيكون أقرب إليك.. وأرجوك لا تقاطع.. ليكن ما يكون.. هو فى كل الأحوال ابننا أو ابنتنا

قال لها وهو يتنهد راضيا:

– على رأيك.. الإنسان يعشق ولده حتى لو كان قردا.

تسرع قائلة: والقرد فى عين أبيه غزال..

يضحكان، ويهنآن بالأمل الذى يحلق فى سماء القلوب.

* * *

كان ناى البهجة يعزف على أعضاء بدنها المستنيم لحنا من خدر.. أطبقت الغطاء على جسمها الذى كان يوشك أن يرتعد من مداعبة برد حنون.

قبل أن تتم شهرها السابع شرعت تتوجع، وسرعان ما أفضى بها التوجع إلى الصراخ. جاءت أمها وأختها، وبقيا إلى جوارها.. توالى الصراخ فأرسلت أمها تستدعى الداية.

وصلت أم حنفى. عجوز شمطاء قبيحة الوجه. متينة البنيان.. عالية. سمراء. لها عينان واسعتان، جستها وقالت:

- كامل وإن كان ابن سبعة

لم تتوقف محبات عن الصراخ، حتى اضطر رشوان إلى إلغاء الزيارات السياحية فى هذا اليوم.

ظلت الحامل تصرخ طوال الليل، والداية تحاول مع الجنين، وفى السر طلبت الأم من رشوان أن يبحث عن طبيب

حضر الطبيب فاتسعت عينا أم حنفى.. الصراخ لا يتوقف .. أرادت الداية أن تغادر. رفضت الأم وكذلك رشوان.. بقيت على مضض لتتفرج على ما يفعله المتعلمون.. قررت ألا تنطق بحرف.. بعد لحظات ساعدت الطبيب.. ورشوان لا يكف عن الصلاة. والاستغاثة بالله الذى لا مغيث غيره حتى جاء الفرج مع شروق الشمس. وأعلن المولود عن وجوده بقوة.

خرج الطبيب وطمأن الأب على وصول الولد العفريت. أسرع رشوان

بالدخول.. طلب أن يرى وليده. كان مجرد لفافة.. هنأ محبات بالسلامة.

- مبروك يا حبيبتى

- الله يبارك فيك

- وصل المحروس

- الحمد لله

- أود أن أراه

- ها هو

- لا يبدو منه إلا وجهه

نظر إليه طويلا.. كان قطعة لحم لها عيون مغمضة وأنف وشفتان فى حجم الترمسة.. لم يستطع أن يعرف إذا كان شكله أم شكلها، كانت محبات ترمق رشوان، وتحاول تقييم نظراته وملامحه..

تجرأت وقالت:

- شكلك يا رشوان

- لا أستطيع أن أحدد

اندفعت أمها تقول:

- نسخة منك.. قولى له يا أم حنفى

- ربنا يخليه له ويخاويه إن شاء الله

دس فى يدها مبلغا، أحصته بطرف عينها. وجدته طيبا فواصلت الدعاء.

بعد لحظات بكى الطفل فسقته جدته الماء بالسكر، ولم تمر غير ساعة

حتى ثقل ثديا محبات باللبن فشرعت لأول مرة فى حياتها ترضع مولودها وتحتضنه.

كانت الجدة تدارى بحذق شرودها ، وتحسن التخلص من مخالب دهشتها دون أن تنطق بحرف. لقد رأت الديك العجيب يحاول بإلحاح النظر من زجاج النافذة، لم تكن تعرف أنه يعرف أن محبات فى هذه الحجرة، ولم تكن تعرف أن محبات تعرف أنه يعرف أن محبات هنا ،وأنها تلد ولدا.

سبق أن حدثتها محبات بأمر الحجاب، ولم تحدثها بأمر الديك، لذلك لم تعرف شيئاً عما خفى من قدراته.

كانت فخورة به .. واحد من خريجى مدرستها المتألقة.. لكنها لا تخفى أسفها لفراغ الدار من صنف الدواجن.. ولا تتصور بيتا ريفياً لا تستقبلك وتحيط بك فيه الدواجن من كل صنف .. بدءا من الأرانب إلى الحمام.

قالت كثيراً وبلا مناسبة: بيت بلا دواجن.. خرابة، لم تكن محبات حريصة أن يزداد فخر أمها بالديك إلى درجة أن تعلم بأنه عاشق مدله.. ما إن يراها حتى يسعى إليها ويلمس أى شىء فيها حتى لو كان ذيل فستانها.

ماذا يمكن أن يكون شعورها تجاهه وتجاهها إذا علمت بالعلاقة؟ ماذا يكون شعورها لو علمت أنه وراء حملها وليس الحجاب؟ لكم ودت أن تصرح بذلك.. لكنها أبدا لا تستطيع، لسانها لن يطاوعها.. لو طاوعها القلب الجسور.. ولا تملك أن تصرح بكل ما يمتاز به الديك، وما تفعله لأجله تقديراً لطبيعته الخاصة.

هى لم تحك لزوجها أو لأمها عن قيامهابغسل جميع أعضائه كل أسبوع، ولم تحك له أو لها عن اكتشافها أنه يحب اللب الأبيض، وأنها تشتريه له وتقشره وتضعه.. لبة لبة فى منقاره، ويحسب رشوان أن كل هذا اللب تقزقزه وحدها محبات.

لم تحك له أو لها أنه كثيرا ما ينام وخاصة بعد رفع السور على فخذها، تقضى نحو ساعة تمسح على رأسه ورقبته وظهره.. بينما تطعمه اللب أو مسحوق السودانى، أو فتات الخيار والقثاء.

لم تشعر محبات من قبل أن حمل الأسرار عسير إلى هذا الحد.. إنها تكاد لأول مرة تدرك معنى كلمة سر.. هذا الشىء المكنون فى أعماق شخصين، أو بين شخص ونفسه، وحين يبقى مدفونا لا تصل المعرفة به إلى أى نفس أخرى، يصبح الأمر لذيذا وصعب الاحتمال.

كانت تعرف أن هناك دائما أسرارا، لكنها كانت تؤمن أيضا أن الأسرار لا يمكن أن تظل على سريتها. متمتعة بالخصوصية ولا ترى النور أبدا وهى فى طريقها إلى آذان الآخرين وتأويلاتهم.. لا تبقى سريتها مهما بالغ أصحابها فى التكتم. ومهما كانت قدراتهم الشخصية، لابد أن يلفظ أحد كلمة، ولابد أن تظهر علامة أو تفوح رائحة أو - وهذا هو الشائع - أن يختلف طرفا السر، فيبوح به أحدهما أو كلاهما.

إنها أبدا لن تبوح، ورغم استعدادها وقسمها على نفسها ألا تبوح. فلم تقدر على منع نفسها من البكاء لأن الله سترها، وألهمها فكرة الحجاب، ثم انخرطت فى البكاء ثانية لأنها لا تعلم على وجه الدقة هل الإنجاب تم على يد الحجاب أم بنفوذ الملك ومواهبه.

لم تستطع أن تحدد المشكلة بسبب هذا التزامن.. هى لا تشعر بالندم

لفكرة الحجاب، لكنها الآن فى حيرة حقيقية، خاصة أنها لا تمتلك القدرة على بلوغ حساب دقيق للشهور.. لقد أسرعت إلى طلب الحجاب تحوطا منذ أن ضاجعها.. هذا الكائن المعجزة.

ها هى تبكى طالبة من الله السماح والعفو، شاكرة له نعمته وفضله وستره، لكنها لم تذكر شيئا عن أنها لن تعود إلى أحضان العاشق. لم تغامر بالوعد.. ألم يكن طلب العفو يعنى التوبة والإقرار بضرورة الإقلاع عن إتيان المحظور، وما يستوجب طلب العفو من جديد.

ما الذى كانت تفكر فيه وهى تبكى.. الموقف معقد على الأقل بداخلها، ويقلل من حجم سعادتها التى تليق بما أنجبت بعد شوق ولهفة سنوات.

إنها لا تزال مرهقة تماما ومهدودة.. لا تقدر على مغادرة الفراش.. بالكاد تقيم نصفها العلوى لتشرب الحساء، وتأكل صدر دجاجة مسلوقة. بالكاد تتحامل على نفسها بعد أن تضع لها أختها المولود على حجرها لترضعه، وتصلب لها ظهرها بالمساند، وما أن ينتهى من مص كل ثديها.. يحملونه عنها لتنام وأحيانا لا تفعل قبل أن تتحول على جانبها الأيسر لتطل فى وجه وليدها.

أضاء وجهه عندما فتح عينيه الجميلتين. لكنها كانت تشعر بالقلق بسبب أنفه الطويل نسبيا وشعره البنى.. اطمأنت قليلا لأن كل من رأى ملامحه أكد أنه أخذ الكثير منها لا من أبيه، له عيناها وشفتاها وذقنها وجبهتها.

كانت سعيدة برغم غياب صورة أبيه من ملامحه.. لقد أصبح لديها ولد.. هذا هو المهم.. أما فى أعماقها فكان ثمة هاجس يسأل لماذا لا

تظهر عليه أي ملامح ديكية؟

الطبيب هو أول من رأى قدمي الوليد، وفي كل قدم أربعة أصابع، وكان أيضا أول من رأى ذراعيه، ولاحظ أن كل ذراع مرتبطة بالجسد بغشاء جلدي عريض يمتد من الإبط إلى الكوع، ويتصل بالجنب حتى مستوى السرة.. يمكنه بهذا أن يبسط ذراعه ويرفعها إلى أعلى، والجلد الواصل بين الكوع والبطن يتجمع ويمتد حسب حركة الذراع.. هذا ما لاحظته الداية، وكذلك الأم والأخت.. لم يقولوا شيئا.. لم تتعود أم حنفي أن تنطق بحرف عن أحوال البيوت التي تدخلها، ولم تتعود أن تعيد - حتى على نفسها - ما تعرفه من أسرار.. صحيح أن الأسرار هذه المرة ثقيلة إلى حد كبير وتمثل إغراء ثريا للحديث، يثمر متعة في النفس وهي ترى الدهشة على الوجوه المستمعة غير المصدقة.. لكنها قررت ألا تبوح أبدا بشيء مما رأت.

مالت الأم على ابنتها وهمست في أذنها متسائلة :

- ألم أقل لك إذا هم زوجك بالنوم معك فسمي الله واطلبي منه أن يسمي

فزعت محبات وقالت : قلت له، لكنني لم أره يسمي أبدا كان يقول: هذه خرافات.. لماذا تقولين ذلك، تضاحكت الأم وقالت تهدئ خاطر ابنتها: لا شيء.. أنا فقط أسأل.. على أية حال هي ليست خرافات.. كل الرجال يفعلون ذلك.

في اليوم السادس. ليلة السبوع، تحولت في سريرها إلى وليدها النائم.. لم يكن قد بدا من ملامحه ما يثير الدخان.

فكت اللفافة عند قدميه. اصطدمت نظراتها بالأصابع الثمانية.. دق

قلبها ثم ترجرج بعنف داخل تجويف بدنها..

- أربعة.. لماذا لم تكن خمسة؟.. ألم يكن بمقدورك يا رب.. استغفر الله

مدت يدها ترفع بقية اللفائف، لم تجد ما يشير فى ساقيه ولا فى مقدمته ولا بطنه أو سرته.. قلبته على بطنه.. لم يكن هناك غير ما أبكاها بحق وهو امتداد ظهره إلى مرفقيه.. عدلته لتتأكد. بسطت ذراعه ورفعتها، أغمضت عينيها فى محاولة لستر ما يمكن أن يكشف.. تنهدت بآهة عميقة وقاسية.

لفته واستولى عليها الشرود.. تسللت إلى بدنها رعدة أعقبها بكاء.. جاءت أمها.. أخذتها بين أحضانها.. سألتها عن أصابع الولد والجلد الواصل بين الصدر والكوعين .. هونت أمها الأمر:

- بعملية بسيطة يُشَق الأصبع الرابع إلى أصبعين، بل ولا داعى لذلك بالمرة.. القدم دائما داخل جورب وحذاء.. ليس ثمة فارق بين أربعة أو خمسة..

- شكله غير طبيعى

- أقبل كلامك لو كانت يده

- وصدره

- جلد يمكن قصه.. إنه زائد.. لا تقلقى.. ألم يخلق الله ولدا برأسين وستة أصابع.. لا تنسى أن هذه هى الولادة الأولى بعد عشر سنوات.. لماذا لا نحمد الله.

- الحمد لله

- ليس هناك ما يشوه صورته أو يعجزه عن العمل

تذكرت كلام الشيخ برهام وكلام رشوان قبل ذلك. لا تود أن يأتى يوم يشك فيه رشوان.. كانت تمنى النفس أن تكون فرحته خالصة نقية

استعادت كلمات أمها

- ليس مهما عدد أصابع القدم، والجلد يمكن قصه

- استر يا ستار

على أن توجسها هذا وفزعها من هبوب رياح الفضيحة ولو من ثقب باب، لم يمنعها من أن تشارك بفرح حقيقى من القلب فى حفلة السبوع الكبيرة التى تحمست لها أم محبات.. كما تجلت خلالها بهجة رشوان التى عبر عنها بالرقص الجميل بالعصا، وشارك الأهل جميعا فى الصخب الذى أقيم على شرف المولود الجديد.. كان الفناء الكبير يرفل فى الأضواء التى بثتها عشرة كلوبات.

ظل رشوان يرقص بلا كلل ويلون فى أدائه، فيقفز وينحنى ويلقى العصا عاليا ويلتقطها ويركبها، ويتركها على رأسه الملساء وحيدة دون أن يلمسها، بينما جسده يتلوى ويدور عشرات المرات حول نفسه، دون أن يفقد توازنه.. يرقص ويقفز إلى أعلى وينقض فجأة على الأرض فاردا طوله.. كانت صحته تواتيه بصورة مبهرة وعضلاته تحمله ليؤدى أصعب الحركات، والجميع فى دهشة، فلم يكن الكثيرون منهم يعرفون عنه ذلك.

ظل المجنون يرقص حتى تناهى إلى الأسماع قرآن الفجر، ولم يسمع رشوان من قال.. أهكذا يفعل بنا الأولاد.

## (١٠)

هذه هى المرة الأولى التى يدخل فيها رشوان من الباب فلا يجد الملك فى استقباله. مضى إلى البيت. كان الباب مفتوحا. اجتاز الردهة على طرفى حذائه.. لمح الديك فى غرفة النوم منحنيا على السرير يمسح عُرْفه فى بطن الطفل ويقبله بمنقاره.. لم ير محبات.. كانت ضلفة الباب تخفيها

بلغه صوتها تقول فى نعومة وهدوء

- هل تحبه يا ملك ؟

ذهل رشوان.. لقد رأى الديك يهز رأسه موافقا ، ثم سمعها تقول:

- سوف نزوجك دجاجة

مستحيل، إنه يقظ ولا يحلم.. لقد رأى الديك يومئ برأسه رافضا

استطردت تقول:

- دجاجة كبيرة وحلوة

هز الديك رأسه رافضا

أحس أنه غير قادر على الوقوف، وغير مستعد لإنهاء الحوار اتجه يمينا إلى حجرة الضيوف.. انهار على أحد الكراسى.. أسند رأسه بكفه.. ماذا يعنى كل هذا.. لقد رأى منذ يومين أصابع قدم الوليد وظهره.. وتأثر كثيرا من أجله وفكر.. لكنه لم يتوصل إلى شىء. أكد الجميع أن الولد يحمل الكثير من ملامحه وملامح أمه.

بدأ يجرجر من الذاكرة شظايا متناثرة.. مواقف. كلمات.. هل يمكن

أن يكون ثمة تقارب أو معنى.. مالذى يخفى عليه؟.

منذ شهر رأى الديك يعانق زوجته.. قالت :

- لاحظت فى صدره بعض الحشرات الطائرة وأنت طلبت الاهتمام بنظافته

زلزال شديد يرج أعماقه بعنف.. يردد كل لحظة.

- أربعة أصابع .. ذراعاه يتصلان بجنبيه كالجناحين،، يعانقها.. يدخل حجرة نومها.. يقبل الطفل.. يقف بالليل خلف النافذة.. حجمه الكبير.. فهمه لأسئلتها وإجابته بهز رأسه.

مضى يستعيد ذلك مرات كطالب يستعد للامتحان، يحاول أن يدس المعلومات فى رأسه حتى لا ينسى.

يعيدها ويعيدها، وينتهى إلى قوله:

- ليس لها غير معنى واحد.. معنى بشع وحقير ولا يلبث أن يرد نفسه

- هذا مجرد ظن.. والاستسلام له يعنى الشك فى زوجته يتنهد بعمق، وكأنه يخرج من صدره شيئا مُرّاً

- إنه ضخم.. ليس ديكا عاديا.. لقد رأيته وهو يجيب عليها بهزة من رأسه.. هل يفهم؟.. هل يسمع؟ هل تراه يتكلم ونحن لا نعلم.. ربما أنا فقط الذى لا أعلم

رأسه بين كفيه

- لابد أولا من التأكد أنه يسمع ويفهم، واكتشاف إذا كان يتكلم أو لا.. ومراقبته لمعرفة نوع العلاقة.. مستحيل يبدو أننى جُننت.

فر برأسه من قبضة الانكسار.. فتح عينيه ليرى أين يكون.. ربما تساعده الأشياء على تلمس الطريق.. طالعته حيطان الغرفة حائلة الألوان.. ترسم عليها الرطوبة بطبقات الطلاء المنهارة أشجارا وطيورا وفيلة

- اطرد يا رشوان هواجسك المتعفنة

ظل قابعا في جلسته منهارا.. زائغ البصر، مشتت الذهن. غير قادر على الإمساك بأى فكرة موثوق بها.. مسحوق تحت وقع الشك والمصيبة وخوف الفضيحة.

قالت زوجته تهون عليه الأمر عندما تناقشا حول خلقة الولد.

- الجلد يمكن قصه... والقدم ليست مهمة.. هذا اسمه بطر.. جرينا سنوات من أجل الخلفة ولما جاءت.. نقول فيها، وفيها.

تحول إليها وأخذ نفسا عميقا ثم قال:

- المشكلة يا هانم ليست فى القدم والجلد.. المشكلة، أكبر.. المشكلة عندك أنت.. فى نفسك.. فى أمانتك.. بالعربى.. فى شرفك.

فزعت محبات، لكنه عاجلها قائلا:

- إذا كان الحل طرد الديك.. سهل.. قتله.. سهل.. لكن هذا أو ذاك لن يحل المشكلة.. المشكلة، فى الطفل وفيك.. إلى من تنتميان.. على من تحسبان.. ماذا أصنع بكما ؟

حسدنى أهل القرية، لأنى تميزت عنهم بالديك العجيب.. اختارنى الله كى يرزقنى بمخلوق نادر المثال.. فرحنا به وهللنا وأقمنا الاحتفالات وعقدنا الصفقات.. ما هو الحال الآن يا رب.

اكتشف أنه ممدد على سجادة الصالون بملابسه. منطرحا على ظهره.. كان ساعده الأيسر فوق جبهته. رفعه ونظر إلى ساعته.. لقد جاء منذ ساعة تقريبا.. هل مضى كل هذا الوقت هنا.. لابد أنه نام قليلا أو فقد الوعى.. أحس أنه أفضل، وأنه قادر على القيام.. حاول النهوض، لم يجد له عزما.. استسلم لأفكاره من جديد تمنى الموت.. استدرك:

- الموت ليس هو الحل.. الفضيحة تطاردك ولا تنتهى بموتك تماسك ونهض.. دخل عليها.. قالت:

- لقد تأخرت

لم يرد

- ماذا بك؟

فى صمت ارتدى جلبابه وخرج

فى الفناء جلس على جذع شجرة يدخن سيجارة وينظر إلى الديك الذى كان يتمشى حول السور.. امتص آخر نفس. رمى العقب على الأرض سحقه بقدمه ودفنه فى التراب لما دنا منه الديك، وقف قبالته بعد أن أرسل نظرة عجلى إلى ساقيه ومخالبه.. سأله وهو يشير بأصبعه إلى فمه

- هل أكلت؟

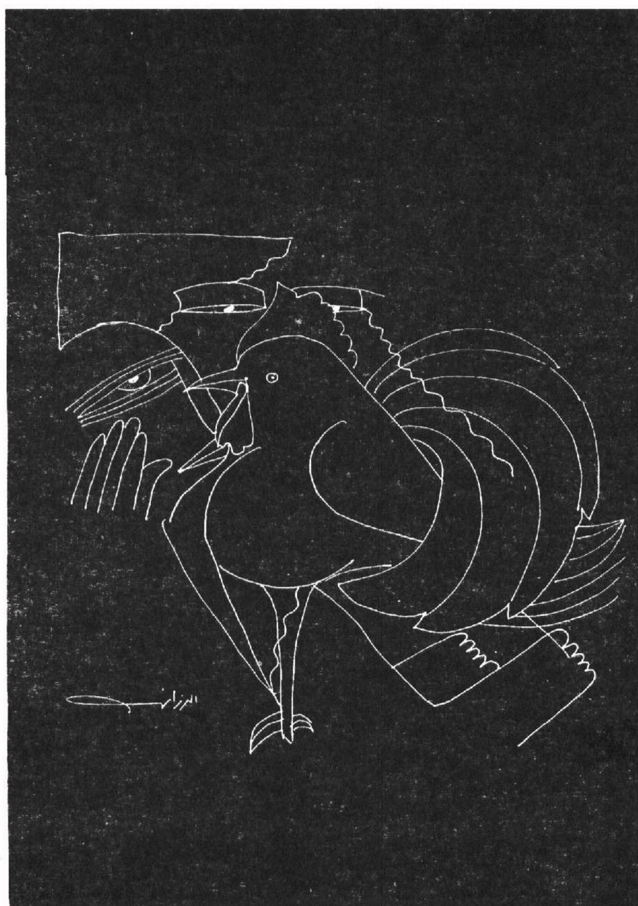
هز الديك رأسه من أعلى إلى أسفل.. عاد يسأله :

- هل تحبنى؟

أكد له ذلك بهزة من رأسه

سأله : هل تحب ابنى؟

أومأ برأسه



- هل تحب أمه ؟

هز الديك رأسه.. شك فى الأمر .. هل يهز الديك رأسه دون أن يفهم سأله : هل أنت حمار؟

نفى الديك ذلك بهزة أفقية.. تذكر فجأة كلام محبات عن اعتقاده أن يكون الديك رجلا مسخوطا ، ولأول مرة يشعر بإمكانية أن يكون كلامها صحيحا.. لقد نسى الأمر تماما منذ تحدثا فيه، وها هو الآن يجد نفسه فى مواجهته.. ليس من المعقول أن يكون هذا الديك إلا إنسانا مسخوطا

تركه وعاد يجلس على جذع الشجرة. أشعل سيجارة جديدة وفكرة جديدة.. خطر له خاطر:

- بدلا من طرده أو قتله.. سوف نخصيه، وكفى المؤمنين القتال، وليبق كما يشاء، فلا خطر منه. هذه هى الفكرة المثلى، وسواء الولد ولده أم ولدى فلتكن هى النهاية.

نهض من فوره إلى دار عواد راعى الغنم. طلب منه أن يخصى الديك.. سأله عواد عن السبب وهو يتعثر فى دهشته.

- كيف يكون لدى شخص ديك كهذا ويخصيه. منحة كبيرة جدا من الله.. يستطيع أن يملأ الأرض دجاجا وبطا وأوزا

حار رشوان لحظات، ثم قال :

- كنت أتمنى ذلك بالفعل، لولا أن الطبيب قال إذا خصيته طال عمره.. وأنا أريده أن يبقى معى دون أن يجرى وراء دجاجة أو بطة أو حتى غزالة

وعده عواد بالحضور بعد الغداء.. أصر رشوان على قيامه معه.. كان

عواد شابا فتيا. لم يتزوج بعد.. حاولا الإمساك بالديك فلم يفلحا أبدا.. كان عواد قد رآه فى الحفلة الكبيرة، لكنه الآن يراه أضخم.. مضى يدفعه من جانب ورشوان من جانب، والديك يفر مرة ويطير مرة، وعندما أحكما عليه الحصار، انقض عليه عواد وأمسك بساقه، ولم يكن الديك فيما يبدو يتوقع ذلك.. وقع على الأرض.، جذبه عواد بقوة، إلا أن الديك حفر وجه عواد بمخالب قدمه الثانية فصرخ عواد وترك الساق، وهو يشعر بلهيب النار يفح من وجهه، ورأى بعينيه وملء يديه الدماء تسيل فى قنوات من الجبهة إلى الذقن..

استعاد الديك توازنه ووقف هادئا دون أن يبتعد، يتأمل فى ثبات ملامح الرجل الملطخ بالدماء والذعر يتملكه، كما يتملك رشوان الذى بهت وأصابه الهلع.. أسرع بعد لحظات من الاضطراب يحضر القطن والماء والماركيكروم والسبرتو.. لقد مزق الديك وجه الضيف.

صب السبرتو على القطنة ومر بها على الجروح التى يسيل منها الدم. زعق عواد وانشال وانحط.. تقلب وتلوى من الألم.. أمسكه رشوان بقوة وضمد جراحه بالقطنة التى شربت الكثير من السبرتو، وعاد الرجل يصرخ.

- ربنا يأخذك إنت وديكك فى يوم واحد.. ربنا يخرب بيتك شوهتنى.. ضيعت مستقبلى.. كيف ترضى بى سنية زوجا لها.. كنا سندخل الأسبوع القادم.. هذا ليس ديكا أبدا إنه أسد أو نمر.

قال رشوان وهو فى نصف هدومه :

- توقف الدم .. الحمد لله .. انتظر حتى

أسرع عواد خارجا وهو يقول : لن انتظر .. يكفى ما حدث قال رشوان : خذ ثمن السجائر

- يحرم عليّ

أوجس رشوان خيفة، لقد رأى عينة من قوة وجبروت الملك.. لن يتورع عن الهجوم عليه إذا حاول أن يطرده، أو إذا فكر أن يخنقه.. المسألة تتعقد.. لم يبق إلا قتله بمسدس أو بندقية من بعيد أو قتله بالسم. والاقتراب منه أصبح خطرا

إلى أن يحدث هذا لابد من ربطه فى إحدى الأشجار حتى لا يتجول كما شاء، ويدخل إلى الدار، ويفعل ما يريد أن يفعل.. وما خفى كان أعظم.. لكن كيف يربطه إلى الشجرة

اهتدى أخيرا إلى وسيلة يمكن أن يتحقق لها النجاح.. أحضر حبلا، وأعد فى نهايته أنشوطة قابلة للعقد حول رقبته، مثل حيلة رعاة البقر لاصطياد الخيول والبشر أيضا

اقترب من الديك، وألقى عليه الحلقة عدة مرات، تفاداها الديك فى كل مرة، حتى أفلح فى النهاية. جذب الحبل، فانعقد حول رقبته. ربطه إلى ساق شجرة.

منذ أسبوع لم يشعر براحة إلا اليوم، بعد أن ربط الديك ربطة محكمة لا تستطيع زوجته أن تحلها أبدا، إلا إذا قصت الحبل بمقص الحمير أو بموس

أمرها ألا تقترب من الديك أو تفك حبله، لا من رقبته أو من الشجرة، وألا تقدم له طعاما.. هو الذى سيتولاه، ولا شأن لها به على الإطلاق.

تمدد فى الفراش تلاحقه الأفكار أقل لهيبا وغضبا، لقد توقف نشاط الديك الإجرامى.. ربطه حقق كافة الأغراض.. ها هو لايزال فى بيته دون خطر. ولن يخسر عائد السياحة.

نام فى الحجرة الثانية من المساء حتى دخلت عليه شمس الصباح من الشباك ونامت إلى جواره على السرير.

نامت محبات فى فراشها متوجسة مما يجرى حولها.. من عينيها الدموع سالت. مرت على خدودها خطوط اللؤلؤ ونزلت.. بللت كيس الوسادة الجديد. اجتاحها حزن قوى وثقيل.. لم يكن أمامها على تلك الوسادة إلا شلال شعرها الليلى الطويل.

هاجمتها الأحلام التعسة، وقرّح السهاد جفونها، وانتظرت مع تجلى الصباح قيام زوجها فلم تبلغها عنه نأمة.. نهضت وأيقظته فقد حان موعد ذهابه إلى الجمعية.. هب فجأة يسألها :

- هل أطعمته ؟

- من؟

- وهل لدينا غيره ؟!

- الولد !؟

- الديك

- لا

- تذكرى ألا تقتربى منه ولا تطعميه.. سأطعمه بنفسى لاتدرى لماذا تمسكت صلعته بنظراتها واستحوذت عليها بينما هو يلقى بالأوامر ويحذر من الاقتراب من هذا الكائن

تركه دون طعام. ومضى إلى عمله. خامره شعور غامض وطارئ أن حجم الضغينة فى نفسه قد قل، وربما كذلك عبء الهم الثقيل.. قالت له محبات : لا تنس إنه روح.. والروح ملك الذى خلقها .. ليست ملكا لك

.. وأى كسرة خبز فى البيت، له فيها نصيب

دون أن يرد عليهـا.. ذهب إلى الملك وألقى أمـامـه حـفنة من الذرة وقليلا من الماء فى علبة من الصفيح

فى المساء. دنا من السجين. كان كل شىء كما هو.. حبات الذرة لم تنقص حبة.. والماء لم يفقد قطرة.. تمتم رشوان بكلمات الاحتقار وأهمله.

فى الصباح، وجد الذرة كما هى، ووجد الماء.. تمتم بعبارات الازدراء ومضى.

غادرت محبات فراشها. دخلت الحمام واغتسلت وهى تفكر فى حال زوجهـا وانصـرافـه عن المولود.. تناولت فطورها، وهى لا تزال تفكر فى أمره، وموقفه الغريب من الملك

لقد رأته بالأمس وهو مربوط وأمامه حبات قليلة من الذرة.. لم يتعود ذلك، وهى تثق أنه لن يقربه.

مـضت إلى الفناء. وقـفت تتطلع إلى السـمـاء والصـبـاح الوليـد. أستنشقت عبير المزروعات الذى يعبق الفضاء وينفذ إلى الأرواح الخامدة. يوقظها من الخمول ويخلصها من الروائح المكمورة.. كانت نسمات طرية تمر على الخدود والشعر والأثواب.

رآها الديك فانتزع نفسه من شرنقة الصمت الحزين. ضرب الأرض بكفيـه ورفـرف بجناحيـه ليلفت انتبـاههـا. حولت نظرها إليـه.. نزلت الدرجات الثلاث. اتجهت نحوه فتهلل. دنت منه ومسحت على ظهره ورقبته

أيقنت من حـالـه وقلة طعـامـه أنه ربما يوشك على الموت إذا دام هذا

الحال يوما آخر.. وساعتها لن ينفع الندم، وربما يكون رشوان فى مقدمة من يحزنون، وكذلك الناس والعمدة والمحافظة التى كتبت عنه فى كتابها السياحى ونشرت له صورة مع نبذة عن سيرة حياته ومواهبه.. سوف تكون مشكلة.. من غير المعقول أن يكون رشوان غافلا عنها.

بسط الديك جناحيه وضم إليه محبات. ضمها بقوة. كان قلبه يدق بشدة. ينتقل النبض إلى بدنها فيهزها ويناجى روحها المتأهبة للتعاطف معه.. حاولت أن تغادر عش أحضانه. رفض. ضغط على بدنها ضغطتين كى تفهم أنه يستبقيها، وأنه يشتاق إليها، لعله كان يشكو لها فعل زوجها.

ظلت بين جناحيه بينما كان يتنفس بعنف ولهفة.. وشرع تدريجيا يلوذ إلى الدعة.. فكرت فى رشوان. سوف تكتمل المصيبة لو رآها مدفونة فى صدر الديك. كانت بالفعل مشتاقة للديك الذى لم تلمسه منذ شهر أو أقل قليلا.. فجأة رفع جناحيه عنها وتقافز. سمعت صوت وليدها يصرخ بحرارة وفزع.

اندفعت نحو البيت، لم يتوقف الديك عن القفز إلا بعد أن اختفى من آذانه صراخ الولد.

.. فى المساء راعها أن الملك لم يأكل ولم يشرب، حبات الذرة كما هى لم يلمسها ولم يحركها عن مواضعها، لكنها فى الصباح وبعد أن أغلق رشوان وراءه الباب، أسرعت إلى الديك.. طلبت إليه أن يأكل، رفض، كررت عليه رجاءها، رفض، سألته: هل يحبها؟، أغمض عينيه وهز رأسه عدة مرات مؤكدا أنه يحبها

قالت : إذن كل

أشار إلى الحبل.. فكرت أن تحله. لكن ثورة رشوان المتوقعة لا تعرف مداها.. العلاقة على كف عفريت.. معلقة ومتوقفة تقريبا لكنها تمضى فى سكون وبلا مشاكل.. هى لا تريد الفضيحة، كما لا يتعين أن تضغط على رشوان .. لكنها لا تزال غير مدركة لسر تغيره بهذه الصورة

كيف تفك وثاق الديك دون أن يعرف رشوان أنها هى التى فعلت؟ .. ليس غير المساء

دخلت الدار وعادت تحمل فى يدها طبقا مملوءا بمحشى الكرنب وورق العنب.. كان ساخنا تسبقه رائحته النفاذة.. إنه يحب هذا الطبق، فى آخر مرة أكل منه طبقين. متغطرسا رفض. نظر إلى الطبق ثم تصاعدت نظراته إلى السماء .. أشار إلى الحبل.. كررت عليه الدعوة. أشار إلى الحبل.

كانت تعرف طباعه، خاصة كبرياءه وعزة نفسه واعتداده بكرامته.. تفهمت دوافعه، وقدرت حقه فى الاعتصام والإضراب عن الطعام. مضت وهى تؤكد عزمها على حل مشكلته مهما كانت النتائج.. لكن ليس قبل المساء.

## (١١)

وقف رشوان في الصباح على الدرجات الثلاث. يطقطق عظامه.. تقدم من الديك. كان ممددا على الأرض ذابلا، منحنى الرأس قليلا، مفتوح العين. تتردد أنفاسه ببطء، والوهن عليه غالب.

الذرة كما هي. الماء لم ينقص، وإن علاه التراب.. دهش لقدرته على التحمل واعتزازه الزائد بكرامته .. لم يشفق عليه.

- عامل بطل.. بطل على نفسك وحياة أمك.. الأكل قدامك.. لن أغيره لك حتى لو كان فى ذلك موتك

فجأة.. طار الملك وهجم على رشوان. بهت وتراجع، لكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً. فقبل أن يفيق كان الملك قد مزق وجهه وملابسه بضربة واحدة من قدمه، وغدا فى حال أسوأ من حال عواد راعى الغنم.

وقف الديك فى مواجهته مستعدا لمزيد من الصراع.. وإن كان يتوقع أن الضربة كافية لتأديب رشوان ورده عن ظلمه وقسوته

فى هذه اللحظة كان رشوان قد قرر وهو يضع كفيه على وجهه من الفزع والألم وأملا فى وقف الدماء التى تنزف بشدة أن يقتله.. لابد من قتله.. لابد: سوف أقتله حتى لو مت معه. لن يمنعنى إنسان مهما كان عن هدف حياتى الوحيد. وسحقا للهانم محبات وابنها، وسحقا للسياحة ودخلها.. سحقا للناس والأهل.. سحقا لحياتى نفسها وراحتى.

هرع إلى الجاروف الذى كان بجوار الطلمبة قبض عليه بيد من حديد

وقلب من حجر. استدار عازما تحطيم هذا المخلوق المغرور العربيد الذى تفرعن وتضخم وسيطر، حتى لم يعد ثمة وسيلة لمنعه وكبح جماحه

كان الديك يرفرف بقوة ويرتفع فى السماء والحبل المعلق فى رقبته يتدلى منه ويتبعه أنى توجه.. أخذ يحوم عاليا فى الفضاء حريصا على أن يظل فوق رشوان عدة دقائق حتى يصيبه بالحسرة التى تليق بالمنتقم الذى أحبط

رآه من أعلى ضئيلا وتافها، يلوح بالجاروف ويصرخ:

- تعال يا جبان يا ابن الكلاب.. تعال يا زانى يا ابن الزانية..

يا ويلك لو وقعت عينى عليك مرة أخرى .. جرب.. لن تعيش طويلا.. سوف أراك وأنت ممزق .. سوف تلقى حتما ما كنت سوف تلقاه على يدى.

طار الديك بعيدا حتى اختفى عن عينى رشوان. مباشرة دخل إلى دورة المياه.. تأمل وجهه فى المرآة.. لم يجسر على وضع السبرتو كما فعل مع عواد. غسل الوجه الممزق بالماء.. ثم سقى الجروح بالميكروكروم ووقف يطل فى المرآة، لم يكن سليما فى وجهه إلا العينين.. لف وجهه بفوطة ومضى إلى حجرة النوم الثانية. أغلقها على نفسه. دفن وجهه فى الفراش وهو ينتفض من الحزن والسخط على الجميع.. كيف سيواجه الناس؟ كيف يمضى إلى الجمعية؟.. كان يتعين أن يذهب الآن.. ستصل اليوم لجنة من المديرية.. كيف قفز فوقى بغتة هذا الغادر؟.. الحبل.. هل كان محلولا؟.. من غير المعقول أن يتمزق بمجرد هجومه علىّ.. هل فكته محبات؟ .. لا أظن.. كان واضحا أنها التزمت بما أمرتها به.. سيسأل عنه الناس والعمدة.. ليس هذا أمرا مهما

احتدم فى رأسه الفكر واشتعل رأسه من الغيظ والحنق.. ضرب السرير بقبضتيه.. أفلت منى دون أن ينال العقاب الذى يستحق.. كان يجب أن أقتله.. كان لابد.. عاد يضرب السرير بقبضتيه، فيهتز هزات كانت كفيلة بهدمه.

واصل الملك طيرانه إلى أن بلغ حقلا خاليا من أصحابه. هبط إليه. التقط من أعواده سنابل القمح الخضراء وفصوص الفول الأخضر. عثر على الأرض بثمار الطماطم. شرب ما استطاع من رحيقها ونقر فى ثمار الخيار .. حفر الأرض بحثا عن البطاطس ثم انتقل إلى حديقة البرتقال. تمشى بين الأشجار، مد منقاره إلى ثمارها. كان يقبض به على البرتقالة ويجذبها جذبة واحدة فتسقط تحت مخالبه وإذا استعصت يجذبها ويلويها حتى يفك عقدتها وتقع. يتشبث فيها بمخالبه ويلتهم لحمها الطرى الأصفر.

شفى غلة جوعه التى دامت أربعة أيام. تنفس بملء رئتيه هواء نقيا يفوح بعطر الزهور .. تمشى إلى الترعة فشرب، ونزل على بعض الأحجار حتى ابتلت ساقاه ونثر الماء على ريشه، وانحنى فغمس رأسه الكبير وعرفه وذقنه فى الماء الجارى، وعاد ينثر الماء على ريش ظهره وذيله وتمطى وانتعش. تنفس بقوة فملأ الرئتين .. إنه الآن مستعد للحياة مؤهل لشهواتها.

آب إلى الحقل يبحث عن الظل ليرتاح قليلا مما أصابه، فهو لم ينم الليل.. بقى معظمه مسهدا يفكر فى حاله وحال الأسرة التى ارتبط بها ورشوان التعس الذى بدأ المعركة.. وتغير فجأة.. لماذا تغير هكذا؟

توقف عند شجرة، برز فى جذعها فرع صغير جاف.. دنا منه وأدخله

خلف رقبته.. حاول عدة مرات حتى علق الفرع بحلقة الحبل التى تلتف حولها.. انحل الوثاق وسقط الحبل .. الآن غدا حرا طليقا .. لا يملك إنسان أن يمسك به أو يفرض عليه سلوكا لا يروقه .. كيف تمكن رشوان من تعليق الحبل برقبته.. لن يتكرر هذا أبدا.

اشتاق إلى الأنثى. الطريق الآن إلى الجميلة محبات مسدود. أليس هناك غيرها حتى يعود السبيل إليها وإلى الولد؟!

انطلق الملك. كانت أجنحته تخفق بقوة وتثير الغبار والرياح.. تهتز الأشجار وتتراقص أعواد القمح والفول والبرسيم وتميل شواشيها كأنها تحاول أن تراه.. قاوم فكرة الانتقال إلى قرية أخرى.. قرر أن يعود إلى قرية محبات.

حوم فوق البيوت الفقيرة والأسطح الممتلئة بالدواجن والحطب وأقراص الجلة الجافة.. تأمل المساكن المعتمة المبنية بالطوب اللبن وعليها من الرماد والقذارة أكوام.

لمح امرأة تتعرى فوق منزل عال جميل ونظيف.. خفف من خفق أجنحته وهبط بحذر على سطح غرفة وحيدة أمامها سطح كبير، تتمدد فى منتصفه امرأة تخلصت من جلبابها.

استسلمت للشمس مغمضة العينين.. هبط خلفها فى خفة ونعومة. دار حولها مرة ومرتين. وقف أمامها، لو فتحت عينيها لرأته.. هرش الأرض بمخلبه. فى كسل وثقة واربت رموشها الطويلة لترى.. ولما رأت.. أسرعت تفتح عينيها إلى أقصاهما.. رأت ودهشت وشرعت تدريجيا تقف.. تأملته طويلا بانبهار.. كان هو الأخر يحدق فى لحمها الذى سوته الشمس خاصة المواضع الظاهرة.. الذراعان والكتفان .. الصدر والفخذان.

كانت أقل جمالا من محبات، لكنها أصغر وأرق، وإذا كانت محبات أجمل وهى بالفعل كذلك، فأين هى الآن ولا سبيل إليها إلا يمر برشوان الثائر بلا سبب. ها هنا فقط سيدة السطح.. أول من سيتعرف إليها بعد محبات.

دارت حوله كما دار حولها. دنت منه أكثر فلمست ريشه، واستعذبت ملمس رقبته الناعم، وأدهشها هذا التماوج اللونى فيها وتداخل الأحمر فى الأخضر فى الزيتى فى الأصفر فى الليمونى فى الأزرق فى السماوى فى الأسود فى البنى فى الأحمر فى البرتقالى فى الأصفر فى الأخضر فى الـ.. فى الـ..

تحسست ذقنه المزدوجة الطرية. سرى إليها دفء حميم هزتها.. كان كل طرف كالرغيف البلدى المرحرح.. قوى ودسم وحنون. صعدت يدها البيضاء الرقيقة نحيلة الأصابع إلى العرف .. التاج الأحمر المنتصب فى كبرياء وشموخ.. تمشت أصابعها على أطرافه المتعرجة.

تساءلت فى نفسها فرحانة عن الصفاء الذى يطل من عينيه كانت السماء بما فيها من سحب تنعكس على مرآة عينه، وكذلك ظهرت أمامها فى ذات المرآة ملامح الغرفة الوحيدة على السطح.. تلك الغرفة التى هبط عليها أولا.. وتألقت فى المرآة الصافية فى قاع عينه صورة الطيور التى حومت لتشهد الكائن العجيب. رأت الطيور ولا شك أنه يشبه الديك الأرضى الصغير الذى تعرفه ويعيش هناك بين الدجاج فى الحظائر وفى الأفنية وعلى الأسطح.

أخيرا وقفت فى مواجهته.. تحت عينيه تماما.. قالت: هذا ديك

محبات.. لقد سمعنا عنه ورأيناه.. ما أجمله وما أسعدها به.

كان الملك مشغولا يتأمل ثدييها المكورين المتوردين ووجهها الجميل ذى الملامح الدقيقة وكتفيها الناعمين وذراعيها العاريين، وقميصها البمبى الشفاف، ومن خلاله تظهر بقية الثديين والبطن الصغير المستدير محفورة على قبته دائرة صغيرة.

تملكتها الدهشة .. أى روعة تتجلى فى هذا الكائن.. أطلت فى عينه. سال الحنان منها والوداد.. سال وتقطر فى قلبها العجب والإعجاب.. تجمدت مبهورة .. بسط دون أن تشعر جناحيه ولفهما حولها.. أخيرا أحست .. توجست فى البداية، لكنه كان لطيفا إلى درجة منعتها أن تنزعج من الريش الملون وهو يدور حولها ثم يضيق ما يحصره حتى لا يكون بين الجناحين إلاها.

لمسها بحنان وضمها أكثر وأكثر.. واجه صدرها صدره.. استشعرت نعومة القطيفة التى لا هى ريش ولا هى شعر .. أحس بدنها نبض قلبه. هدأ وأنصت للموسيقى الخافتة التى يتبادلها الجسدان.

رويدا رويدا أغمضت عينيها. ازداد الدفء وانسجم الجسدان والقلبان واتحدت الأنفاس واختلطت.. اختفت تماما تلك المخلوقة البشرية، سيدة السطح فى حضن الجسد المشبوب.. حملها بالجناحين فما كادت تحس بأنها محمولة. وضعها فى رقة على السجادة المهترئة التى كانت تتمدد عليها. بسط جناحيه بعيدا عنها ومدد فوقها البدن الدافئ.. ذابا معا فى لقاء شمسى فريد لا تشهده غير السماوات والطيور. من ذا الذى لا يصدق أن موجة يتيمة تائهة قَدمَت متلوية محمولة على سرير الماء اللازوردى من البحر البعيد الهائج.. مضت مسافرة حتى استقرت على ذلك الشاطئ

المغمور.. نفذت فى رماله وذابت وشرب الرمل واتحد مع الموجات الغريبة حتى تغير .. تغير.

انتهى كونشرتو التوحد الوجد حيوانى الإنسربانى، الذى تتحدث الكائنات خلال لحظات تألقه لغة مشتركة، تجيدها وتفهمها كل المخلوقات حتى الرياح والسحب.

ودع الملك الصديقة الثانية. كان عليه أن ينصرف ليقضى بعض حاجته على وعد بالعودة قريبا.. قبلت المتيمة به - مرغمة - رحيله المباغت، ولما تتعرف بعد على كل ما متعه الله من مواهب...

من فوق السطح أطلق جناحيه. وقبل أن يمضى بعيدا تحول برأسه وألقى نظرة حنون على الفتاة الناعسة. بدت كأنها كانت تترقب نظرته الأخيرة. لما علا الملك فى الفضاء متجها إلى عمق القرية، تسقط نظراته على أسطحها المتربة، تحتها بيوت كعلب قديمة شكلها الأجداد الراحلون من طين وقش وهباب وصمت.

دنا من النهر. التقطت عيناه مشهدا جميلا. فيللا شبه منعزلة، تفصل بينها وبين بيوت القرية مساحة من الخلاء تسمح للمرء أن يرى من أى زاوية بيتا من طابقين تزينه الزخارف والألوان، تحيط به حديقة، فى وسطها سجادة خضراء ناعمة تغرى بالنوم عليها والتمرغ فى طراوتها.

هبط الملك فى ركن منها. شرع يجول بنظره فى جنبات الحديقة، وقبل أن يخطو فى اتجاه السلم. تناهت إليه أصوات بشرية. أسرع بالاختباء.. خرج رجل بهى الطلعة أبيض الشعر أحمر الوجه يرتدى بدلة رمادية أنيقة وحذاء أسود لامعاً، يحمل فى يده حقيبة صغيرة سوداء.. آخر ما سمع الديك.. صوت نسائى :

- لا تتأخر

- ساعتين لا أكثر

اجتاز الأنيق الأشيب الممر الأوسط للحديقة فى خطوات لا تناسب سنه الكبيرة.. ركب سيارة بيضاء متوسطة العمر ذات ماركة مشهورة. دمدم المحرك. هيج التراب وابتعد.

تحرك الملك فى اتجاه الباب. كان مغلقا.. دار حول البيت. لم يجد بابا مفتوحا ولا نافذة.. الستائر تغطى كل شيء.. عاد إلى الباب الكبير.. صعد الدرجات الخمس.. خبط الشراعة الزجاجية بمنقاره.. لم تبدر استجابة.. خبط من جديد بقوة.. سمع زحف أقدام ثقيلة. فتحت له سيدة عجوز.. فزعت فى البداية.. تراجع قليلا إلى الخلف.. تفلت فى عبها السيدة.. عادت تنظر إليه.. وتدريجيا شرعت ملامحها فى الانبساط والرضا ثم العجب.. تأملته من تحت لفوق، ثم نادت قائلة :

- يا نجوى.. نجوى.. تعالى بسرعة

هللت نجوى لما رأت الديك.. دارت حوله.. لمست ريشه

قالت : لابد أنه الديك الذى سمعنا عنه .. ديك.. ديك

- ديك محبات

- نعم يا أمى.. ديك محبات.. لكننى أعرف أن عليه حراسة.. كيف يا ترى غادر سجنه؟! تعالى لأصورك.. هذه فرصة نادرة.

- التقطى له ما تشائين من الصور حتى أجهز الصينية وأدخلها الفرن.

سارت نجوى بعد أن أشارت للديك كى يتبعها.. تأمل عودها الرشيق

وحركات راقصة يؤديها برشاقة شعرها المعلق كذيل الحصان. صعدت سلما رخاميا عريضا.. صعد وراءها.. كان البيت مختلفا عن كل البيوت.. نظيفا لامعا وناسه كذلك.. دخل معها حجرتها. رأى وجوها على الحائط.. ورأى كتبا وصورة كبيرة لنجوى وكذلك أمها والرجل الطويل الأنيق الذى خرج

فتحت نجوى درج مكتبها الكبير وأخرجت الكاميرا. شرعت تعدها والديك يتأمل ما حوله.. أضاءت نور الغرفة. مضت تلتقط له الصور.. ترفع رأسه مرة إلى أعلى، وتحنيها إلى أسفل وتلويها إلى اليسار.. صور قريبة وصور بعيدة..

صورته فى الغرفة وعلى السلم وفى السطح.. صورته على السرير وإلى جانب الورد وفى الحديقة تحت الشجر ومتقلبا على العشب وصاعدا على السلم. لما اكتفت. صعدت لتعيد الكاميرا إلى حجرتها.. صعد وراءها ولم يضيع الوقت.. قبل أن تنادى أمها عليها كان قد أنهى مهمته وترك نجوى مذهولة، ونزل ليلبى نداء الأم الفرحانة بزيارة الكائن الفريد..

لما أفاقت نجوى من ذهولها وروعة المفاجأة، كان أبوها قد عاد أمسكت بالديك وقررت جهرا وعلى الملأ أنها لن تتركه حتى لو جاءت صاحبته بالجيش نفسه ليأخذه.. كائن خرافى.. خفيف ونظيف رقيق وقوى ولذيذ.. قررت أيضا أن تملأ صوره البيت كله.. اعترض راغب بك أغنى أغنياء البلد على هذه المبالغة من نجوى، لأنها كانت ملتصقة به لا تفلته حتى وهى نائمة، وهى فى الحمام وهى تقرأ وهى تسمع الراديو وهى.. وهى.. لكن الملك لم يستمر. كان لابد أن يغادر.. كان لابد أن يكون كما يريد.

أجرى الملك عدة محاولات للتسلل حتى أفلحت الأخيرة. وتخلص من

أحضان نجوى وهى نائمة قبل الفجر بقليل. صعد السلالم إلى السطح. عثر على السماء العميقة أمامه مرصعة بنجوم تثقب الليل ولا تضيئ إلا همسا.. الجو بديع والبشر هامدون والنسيم يسقى الأبدان.. نغم حزين يتردد داخل أعماق الملك.. لكن الليل الفاتن بمقدوره أن يغسل الأحزان..

تناهت إلى سمع الملك الذى كان لا يزال واقفا على السطح يتطلع إلى النهر الناعس والسماء الكحيلة، ينعم بالنسيم البارد أصوات مزمار.. أطلق جناحيه فى الفضاء وتعلق بخيط الأصوات. تتبعها.. أخذت تتصاعد وبدت معها الأنوار التى تنشرها بقوة لمبات كهربائية فى شكل عقود حول بيت شيخ البلد.

هبط الملك خلف البيت.. وقف فى الظلمة يرقب الحفل الكبير.. شيخ البلد يزوج ابنه، وكان هو قد تزوج للمرة الثانية منذ أشهر قليلة.. الأب يرقص بنفسه، والموسيقى تطلقها الآلات والمزامير والطبول، الزغاريد تتوالى والأعيرة النارية تصرخ وتنطلق وتنير وتسقط بقاياها هنا وهناك..

تجاوب الديك مع الأنغام الصاخبة لحظات ثم فقد الرغبة فى مواصلة الاستماع. تسلل إلى الباب الخلفى للدار.. كانت على يمينه غرفة، تحت بابها خط من النور ومثله فوق الباب. دفعه بهدوء وحذر عدة سنتيمترات.. سَرّهُ ما رأى داخل الغرفة.

لم تتنبه لدخوله وهى تجلس أمام مرآة صغيرة لا ترى فيها إلا وجهها.. كانت تضبط الكحل فى العينين بحذق.. إنها المرة الأولى التى يرى فيها امرأة تلبس مثل هذا الثوب. أغلبه عار والباقى مخملى تتدلى منه قصاصات وتصلصل فى ساعديها الجواهر.. دنا منها فطلع عليه عبير نافذ الرائحة.. استدارت فجأة وقد أحست به. ضحكت ضحكة ساخرة

ودون اهتمام عادت إلى المرآة.. قالت :

- رح اقلع الذى تلبسه يا شاطر

راعه أنها لم تدهش.. تقدم منها أكثر وقد شاقه أن يتعرف على الوجه الغارق فى الألوان والصدر الكبير المقتحم.. صورة أخرى للمرأة القوية الممتلئة فى دسامة عارمة وحضور مكين.. هى بلا شك تختلف عن نجوى الرقيقة التى ترسم، وتأكل القليل وتكمل طعامها بالموسيقى. خطوها همس وصوتها هديل حمامة.

قالت :

- حركاتك لا تخيل على راقصة وحياة ماما

أحاطها بجناحيه.. لم تستطع أن تكمل زينتها.. صرخت فيه

- وبعدها معك.. بطّل سخافة

واصل الملك مشروعه العاطفى.. أحاطها بجناحيه، وقفت.. بدا طولها الفارع داخل عباءته الريشية، دارت بداخل الجناحين وواجهته

- نعم.. طلباتك.. لو رجل اكشف وجهك.. اكشف مثلى انظر إلى.. أنا حُرمة ومبينة كل شىء.. أما أنت فجبان هيا .. ابعد عنى

طرق الباب طارق قائلا :

- الكل فى انتظارك مشتاقين.. هيا يا ست الكل

بقى الديك فى وضعه ينظر إليها فى هدوء، لكنه لا يستطيع أن يمنع انزعاجه من مقاومتها وصمودها، ونظرات الازدراء التى تصبها عليه.. لم يدر بما جرى إلا بعد أن جرى

دفعته دفعة قوية لا يذكر أنه أحس من قبل بمثلها.. أطاحت به الضربة

بعيدا وألقته عند الباب. أعادت النظر فى المرآة. بعثرت شعرها وفتحت الباب بصعوبة حتى خرجت.

ظل الديك لحظات تائها مذعورا.. هل هذه امرأة؟!.. ليست امرأة.. فماذا تكون؟! .. لولا أنه رأى وجهها وجانبا من جسمها العارى.

تحامل على نفسه وخرج. عاد يقف فى الركن المظلم بعيدا عن الناس ربما يراها بينهم. بلغته الموسيقى.. وقبل أن تقع عينه على أى مخلوق رآها.. نعم هى.. تتلوى بطولها السامق ولحمها الراسخ. تنثر شعرها.. وتنحنى بظهرها وتثنى جذعها إلى الخلف حتى يلمس شعرها الأرض المفروشة بالرمل.. بينما ساقاها يواكبان الإيقاع مع الطبلة.. ثم يعلو الإيقاع فتقف وتفرد طولها وترفع ساقا إلى أعلى فيشق الفضاء ويمزق الملابس المخملية التى تتدلى حولها ويبدو الساق عاريا مكتنزا ينساب فى رشاقة بادئا من تحت البطن عريضا وممتلئا.. اسطوانيا ومندفعا فى اتجاه الركبة ثم الربلة فالقدم.. وينزل هذا الفخذ ليصعد أخوه، وتتوالى الحركات العفية والناس صرعى الإعجاب، يصرخون ويضحكون ويتجاسر بعضهم فينزل للرقص حولها دون أن يمسها، لكنها تكتسحه وتزيحه فيبتعد عنها متمسكا بالتعبير عن براعته فى الرقص، لا أحد ينظر إليه.. يتوالى هبوط الرجال إليها. يخرجون محافظهم ويدسون الأوراق فى صدرها ويلصقونها بجبينها ومنهم من ثبّت تلك الأوراق المالية الملونة فى خيط ثم علقه عقدا فى رقبتها

جُن الديك.. تلبسته حالة لم يستشعرها من قبل.. ود لو يدخل الآن ويرقص معها لحظات ثم ينقض عليها.. لن يتركها أبدا.. هذه هى المرأة التى يريد. شعلة من النار تتقافز أمامه وتستفزه.. توخزه بحركاتها النزقة الملتهبة.. لن يتركها أبدا..

بقى واقفا فى الظلمة يتلظى وأعماقه تصهل باللهفة والثورة.. سوف ترى من هو الملك الذى ألقته على الأرض بضربة غادرة. سوف ترى من هو الملك الذى استسلمت له كل النساء.

لما أوشكت على الانتهاء. سبقها إلى الغرفة ووقف وراء الباب.. دخلت مندفعة.. اتجهت مباشرة إلى المشجب.. سحبت ما عليه من ملابس واستدارت. وجدته أمامها.. قالت باحتقار واستهانة :

- إنت سخيف سخف

دفعته من طريقها وخرجت. كانت السيارة بانتظارها. فتح لها سائقها الباب. ارتمت على الكرسى وهى تقول :

- بسرعة

وقف الديك بعيدا كشبح فى الظلمة يرقب الراقصة وهى تنفذ فى السيارة. الناس ينكبون عليها والأولاد يركبون السيارة ويتقافزون فوقها.. وسرعان ما انطلق السائق، يشق بها طرقات القرية الضيقة.. جرى الجميع خلفها لحظات ثم تفرقوا.

انتبذ الديك ركنا طريا هادئا فجلس فيه يمضغ خيبته.. ويلوم نفسه أنه لم يتبعها.. تراءت أمامه وحشا أسطوريا غريبا ولذيذا.. لماذا لم تدهش عندما رأته كما فعلت كل النساء.. تساءل.. لماذا لم تستسلم له كما فعلت كل النساء؟.. غريبة.

سمع صوت بكاء.. مضى صوبه. اقتاده الصوت إلى بيت من دور واحد. دفع الباب. كان مغلقا.. طار وحط على السطح.. نزل الدرج.. بلغه الصوت واضحا وصافيا.. دنا من صاحبته.. كانت بنتا فى سن

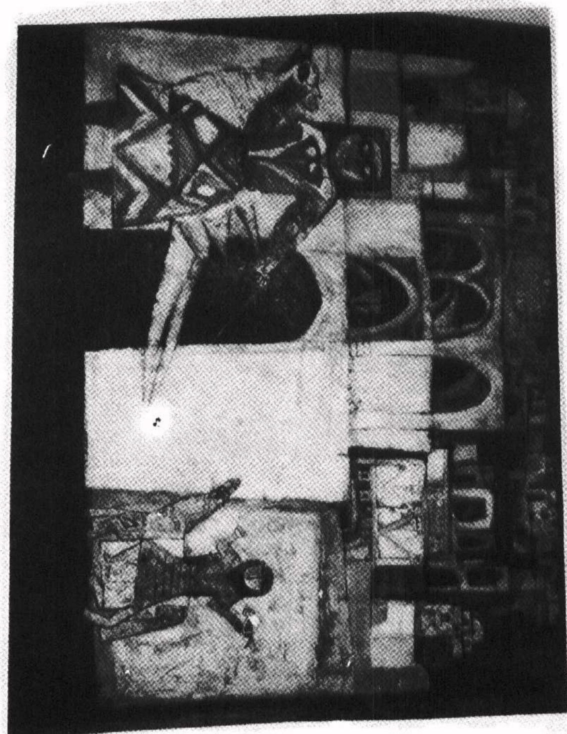
الصبا لا تزيد على الخامسة عشرة، تبكى أمها التى تتمدد أمامها محتضرة.

وقف لحظات لا يدرى ماذا يفعل. لمس البنت بقدمه.. تحولت إليه. رأته فى الضوء الباهت. فزعت فى البداية ووقعت على الأرض. مسحت دموعها.. عرفته. كانت قد رأته فى بيت محبات.. بسط عليها جناحيه. حملها وصعد إلى السطح.. مددها وبسط جناحيه من جديد عليها.. نسيت دموعها وهى مع هذا الديك الخرافى.. ظل يداعبها ويؤانسها حتى أشرق الصبح. فحملها من جديد. نزل بها. وسّدها إلى جوار أمها.. راحت فى سبات عميق. كانت أمها قد انتقلت إلى الرفيق الأعلى وانتقل الملك لاكتشاف صديقات أخريات.. مر تقريبا على كل بيت فى القرية.. صادق النساء والبنات.. العوانس والمتزوجات.. الأرامل والمطلقات. العذراوات والأمهات والجدات.. تدوق طعومهن حتى افتقد القدرة على التذكر. إنه مجرد طائر لا يتشكك فيه أحد، بل يفرح لقدومه الجميع ويهش له كل من يلقاه، وكم يحاول الرجال إذا رأوه أن يستبقوه لكنه كان غير مستعد لإطالة الزيارة، كان دائما على ارتحال مع وعد بالعودة، فقد ولد بالقرية أيا كانت سلالته، وانتسب إليها وتربى فيها وسعد بأهلها وسعدوا به، هى إذن بلده ولن يكون لغيرها.

حاول البعض الاحتفاظ به حتى يكون لهم وحدهم ولا يعلم بأمره غيرهم، لكنه كان قد أعلن الحرية والاستقلال وذاق حلاوة ذلك السلوك.. لقد مضى زمن القيد ولم يعد مستعدا لقبول الأغلال بعد أن كوته نارها وأذلته. لابد أن يذهب إلى حيث يشاء ويرحل متى أراد.

حاولت كل امرأة أن تكتم خبره.. لكن الأخبار رغم ذلك كانت تنتقل

من موضع إلى آخر ومن أذن لأذن، وتبقى الأسرار مؤقتا فى القمقم.. لكن كل امرأة جاءها لابد تفهم أنه جاء أخرى.. أما الرجال فلا يعرفون إلا أنه ديك رشوان، ما عاد يحتمل المقام فى بيته فسمحوا له بالتجول فى القرية، وهو فيما يبدو لهم كائن اجتماعى ظريف يحب الناس ويحمل لهم كل الودّ والتراحم.. وهكذا حملت كل إناث القرية من ود الديك ومحبته.



لم تحس محبات بدخول زوجها دورة المياه والغرفة الجوانية.. اليوم. صابحة البنية مزاجها متعكر.. القلب مقبوض والروح كأنها داخلة فى نفق معتم.

خرجت لتلقى على الديك نظرة.. فكت وثاقه بالليل البهيم.. فكرت أن تسأله إذا كان يقبل المحشى أو تجهز له غيره.. لم تجد أحدا .. خبطت صدرها.

- يا لهوى.. أين الديك؟.. لابد أنه خرج.. كيف خرج.. يمكن طار يا مصيبتى.. أنا الغلطانة.. حللت له عقدة الحبل.. أين تراه ذهب؟. مصيبة وحطت عليك يا محبات

انطلقت تجرى فى الفناء، وحول الدار، داخل السور وعند الفرن فى عشة الدجاج الخالية والتى لا تتسع له.. لا أثر.. فوق السطح.. لا أثر..

- ربما كان رشوان هو الذى أطلقه.. فهل أنتظر حتى يعود؟.. ربما لا يكون رشوان.. الأرجح أنه طار فى الليل.. لقد كانت حالته النفسية سيئة جدا، وكان ساخطا على الطعام التافه والقيد وسوء معاملة رشوان، وعدم قدرته على رؤيتى ورؤية الولد.. كيف إذن يطاوعه قلبه أن يتركنا.. لن أسكت.. سوف أبحث عنه فى كل مكان.. لن أسمح لأحد أن يأخذه منى ولن أدع الفرصة كى ينال منه أحد حتى لو رشوان..

دخلت البيت. اطمأنت أن الوليد نائم. لبست الجلباب الأسود عقدت التربيعة البيضاء على رأسها. غطتها بالطرحة الحرير السوداء. انطلقت إلى الجمعية.. المسافة لا تزيد على مائة متر.. التقت عند الباب بفرج ساعى الجمعية. سألته عن الأستاذ.. قال لها إنه هو نفسه كان قادما ليسأل عنه إذ لم يأت حتى الآن.

رشوان والملك اختفيا معا.. استبعدت أن يكون نزاعا قد شب بينهما، خطف الديك على إثره رشوان وألقاه بعيدا.. رشوان ثقيل.. ولماذا يخطفه! ليس لديه أسباب للنيل منه، لكن رشوان يبدو فى حالة غير طبيعية.. قالت لفرج : ربما ذهب مباشرة إلى مديرية الزراعة فى البندر

مط شفتيه قائلا: ربما

قررت أن تقوم بجولة فى القرية لعلها تجده.. حدثها القلب أنه لن يتركها ولن يتخلى بسهولة عن الولد، فهو يعلم أنه ولده.. لن يرحل بعيدا مهما حدث بينه وبين رشوان

لعنت فكرتها المجنونة :

– أنا مخى جزمة.. أشفقت عليه فضيعت الدنيا

رجعت إلى الدار.. أطلت على الولد، كان لحسن الحظ قد شرع يتقلب ولم يبدأ بعد صراخه الذى اعتاد أن يطلقه إذا لم يجدها إلى جواره، أو إذا جاع أو ابتل، فإذا صرخ فإنه يوقظ الميتين.. أبوه لم يكن له صوت ولا حتى للآذان.

جلست ترضعه.. بعد شهور طويلة من العشرة هرب الملك.. لقد نفذت روحه فى روحها.. بالنهار تراه وبالليل تحلم به.. كائن نبيل عاشق، صادق

العشق.. كان يحرس البيت.. وكان قليل الطعام. يعيش بيننا فى صمت.. إنها غلطتى.

ترقرق فى عينيها الدمع، بينما كانت وساوسها تحاصرها، والأفكار النزقة تعصف بها.. ثديها فى فم الولد.. ولده.. ضمته بقوة.. كان يغترف من صدرها الكثير من اللبن ويكبر.. يكبر بسرعة،.. عادت تضمه وتفكر فى أبيه.. هل تترك الملك حتى ينام الولد أم تحمله على صدرها وتدور فى القرية.. كيف لها أن تقطع شوارع القرية وهو على كتفها.. صعب.

لاعبته بعض الوقت.. عندما تمثل لها طيف أبيه.. لم تطق صبراً.. حملت ولدها وخرجت لا تدرى كيف يكون البحث.. هل تسأل الناس مباشرة أم تكتفى بالتجول والنظر، وماذا يفيد ذلك إذا كان قد دخل بيتا ما.. لابد من السؤال.. بدأت بالشارع الكبير. مضت تسأل كل من تلقاه..

- ألم تر الملك؟
- أى ملك؟
- ديكنا الكبير
- هل اسمه الملك؟
- نعم
- لا.. لم أره

لم يقل لها أحد إنه رآه.. هل يمكن أن يكونوا صادقين.. انتقلت إلى بعض الشوارع الضيقة.. أسعدها أنها أخيرا عثرت على رجل قال لها :

- لقد رأيته وأنا ذاهب إلى الغيط.. كان يطير فى السماء

قال ثان :

- لقد رأيته فى غيط أم الخير بالقرب من الساقية

وقال ثالث :

- كان يتمشى عند الترعة غربى البلد

تسلق الأمل عروق دمها.. رقصت روحها طربا.. ها هى على وشك أن تلقاه.. ستعتذر له، وتعده أن يعيش معهما بشروطه وكما يشاء حتى لو اقتضى الأمر أن تأخذه إلى دار أمها، وتترك دار رشوان ليتمتع بها وحده.

واصلت سؤالها.. التقت بمن لم يره، والتقت بمن رآه. إلى أن قال لها صبى تجاوز العاشرة :

- رأيته فى دوار العمدة.

فرحت بهذه الإجابة المحددة. هرعت إلى دار العمدة. سألتهم.. قالوا:

- كان هنا فعلا، وقد أمر حضرة العمدة خفيره أن يسحبه إليكم، فلم يطاوع وفجأة طار بعيدا واختفى عن العيون. أحست بالرغبة فى الجلوس على الأرض.. الخبر صدمها بعنف.. وللمرة الأولى تشعر أن الولد ثقيل. رأت أن تعود إلى الدار، ربما عاد رشوان فتسأله.. لابد يعرف أى شىء عنه.

على الباب كان رشوان واقفا وكل جزء فى جسمه يطلق شرار الغضب، وصلعته تتحدى الشمس وتكسر سهام أشعتها. ابتدرها:

- أين كنت يا هانم؟

- أين كنت أنت.. سألت عليك فى الجمعية وعند شيخ الخفراء وعند العمدة

- ما المناسبة؟

- أردت أن أسألك عن الملك

- وهل وجدته؟
- دعنا منه الآن.. ماذا بك؟ .. هل تعاركت يا رشوان؟
- نعم
- لماذا ومع من؟
- مع من كنت تبحثين عنه
- كنت أبحث عنك
- كنت تبحثين عن الديك
- ماذا بك يا رجل.. أنت تغيرت
- أنا
- نعم أنت.. هل نظرت إلى وجهك فى المرآة؟
- دون أن أنظر
- أنت لم تقل أين كنت
- كنت نائما
- والديك
- هاجمنى وطار.. ما رأيك؟. هل أنت سعيدة؟
- أنت شخص غير طبيعى

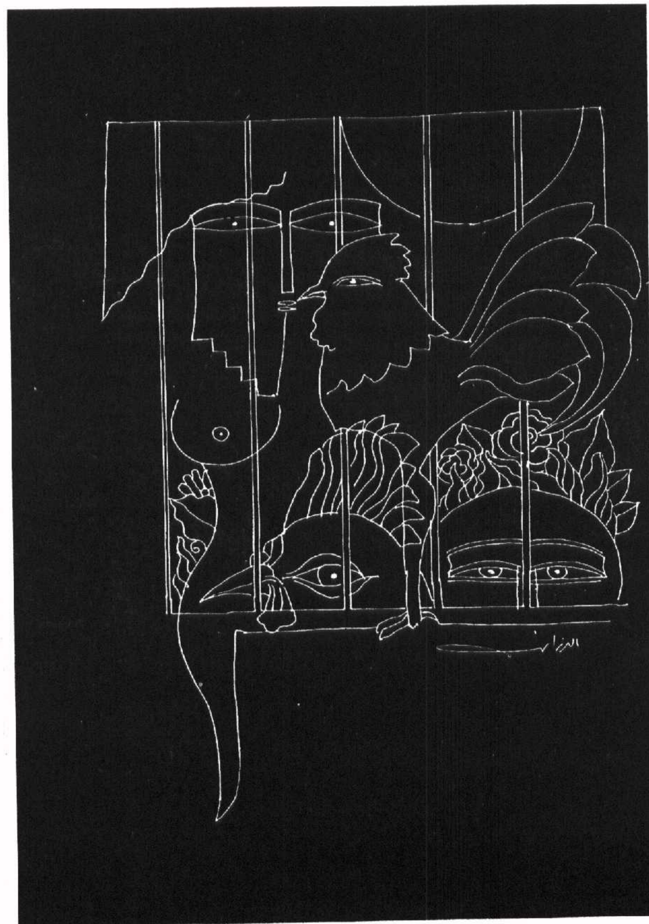
طارت يده فجأة وسقطت على وجهها.. صرخت

- قطعت يدك

صفعها على الخد الثانى

- أنت انجننت.. والله لن أبقى فى البيت يوما

استدارت عائدة كما هى تغالب الدمع.. لكنها لم تستطع أن تمنعه وهى تلقى الولد فى حجر أمها.



## (١٣)

كم هو موحش..!

البيت

كم هو ممل..!

المقام به

كم هو بلا طعم..!

الطعام فيه والشراب

كم هو مرعب..!

ذلك السكون المحيط بى

كم هو سخيف..!

ذلك الهدوء الذى يخيم كالعفونة

وكم هى بغيضة..!

رائحة الوحدة والفراغ

سبحان الله

لماذا يجعل للزوجة والولد كل هذه الأهمية؟!

دار فى البيت حول نفسه.. تساءل كيف يتسنى له أن يتقى ساعات ثقيلة يصبها فوق روحه الضجر المر.

كان يعرف طريقه إلى فندق نجوم الليل.. لم يأت إليه منذ تزوج.. لكم

جاء إلى القاهرة وتجول فى شوارعها الفسيحة المسفلتة وقضى ليالى طويلةً متنقلا بين مقاهيها وملاهيها. لم تكن خلالها ترى عيناه النوم إلا مع انهزام الظلام وتراجعه أمام زحف النور.

لقد تغيرت المعالم وزادت السيارات بشكل غريب ومزعج.. ما هذه الشوارع المزدحمة. الناس يهرولون ويندفعون.. الباعة فى كل مكان وكذلك رجال الشرطة.. الضجيج.. كم هو قمىء منظر المدينة بالنهار.. وكم هى ساحرة بالليل.. قادرة على الإمساك بزوارها وإسعادهم حتى لو باعوا فى سبيلها ملابسهم.

ها هو الفندق. سلم على أصحابه القدامى.. مات من مات ورحل إلى الخارج من رحل.

طلب غرفة تطل على ميدان العتبة.. ما أحوجه أن يقيم فى نفس الغرفة التى تعود أن يقيم بها أيام الشقاوة.. لو كانت مشغولة سيطلب منهم أن يخلوها له.. كما كان القدامى يفعلون.

لما سألهم عن الغرفة، قالوا إنها خالية. شعر بالرضا. اعتبر هذا الموقف شهامة من القاهرة وبداية مشجعة، وقدر أنها تفتح له أحضانها حتى ينسى كل ما يهمه ويحزنه.

أخذ حماما واستشعر الجوع ففتح لفافة كانت بها بطة سمينة سلقتها محبات ولم تطه عليها طعاما بعد. جلس أمامها. شرع يأكل فيها قطعة قطعة حتى التهم نصفها.. نام على أمل أن يخرج إلى القاهرة فى المساء.

أطل فى المرآة. راعه وجهه.. كان غريبا ومرعبا.. استاء كثيرا لما حدث. استدرجه الوجه إلى الديك.. تطورت الأمور إلى الحد الذى مزق الأسرة.. ها هى محبات فى جانب وهو فى جانب.. أعطاها ظهره واتجه

إلى الفراش. عاد ينظر إليها فرأى الديك يخرج له لسانه، المرآة تحتل نصف الجدار.. أغمض عينيه لينام. انتظر واستسلم للنوم.. لم يأت.. كانت الأفكار والهواجس هى التى أتت وراءه من القرية.

فتح الجريدة وتطلع إلى إعلانات دور السينما. الأفلام أجمل تسلية.. فيلم سبارتاكوس فى مترو. ريا وسكينة فى ديانا. الهروب الكبير فى كايرو. شباب امرأة ونفوس معقدة فى كوزموس.

ارتدى ملابسه وانطلق إلى شباب امرأة.. شاهد الأفلام وحده. وقزقز اللب وحده. وضحك وحده. واندمج مع هيتشكوك ونسى كل شئ. خرج قبل الثانية عشرة فى مزاج أفضل. كان يستنشق النسيم الليلى باشتياق.. اشترى كمثرى وعلبة زبادى. عاد إلى الفندق. خلع ملابسه ووقف عاريا أمام المرآة.. سقى جروحه بالميكروكروم.. دقق فيها. تصور أنها زادت واتسعت ولم تبدأ بعد طريق الشفاء.. تطلع إلى بدنه.. كان غزير الشعر بشكل غريب.. ليس فى بدنه موضع إلا وهو مختف تحت غلالات الشعر الأسود الطويل من أسفل ساقيه حتى رقبته.. أعطى ظهره للمرآة وحاول أن يراه.. كان ظهره بالضبط مثل صدره. شعر كثيف من أعلى كتفيه حتى كاحليه.. الجو حار.. اكتفى بالفانلة واللباس استدار إلى الفراش. وقعت عيناه على المرآة.. كانت صورة ظهره كثيف الشعر لا تزال فى المرآة.. دنا منها.. لم يجد وجهه، وظل ظهره هو الذى يملأها وكل شئ أمام المرآة ظاهر فيها سواه.. ظل ظهره يقف أمامه.. لأول مرة يراه بوضوح ودقة.. تأمله لحظات وهو فى نصف وعى.. هل توقفت المرآة عن عكس صورته واحتفظت بظهره. مط شفتيه وانحط على الفراش.. الديك.. محبات. الولد. القرية. العالم. ظهره. أهله.. تداخلت الصور.. وجه أمه

على جسم الولد.. رأس الديك على بدن محبات.. بيته مقلوب.. الديك يطير بلا رأس. بعد قليل تسقط ساقه. أمه تكبر وينبسط لها جناحان.. جناحا ولده.. ولد الديك.. ولده.. ولد الديك.. أمه.. لماذا يا محبات؟. لماذا كل هذا؟.. كيف بدأ الانحراف.. ما الذى يجرى بالضبط.. لماذا يبدو كل شىء بدون جذور.. كل شىء محلول.. كالديك الذى انفك رباطه.. كل شىء مفكوك وبلا وتد أو حبل أو قدمين أو طين مغروس فيه.. كل شئ زئبقى. صابونى.. زلق.. متداعى ومجنون. ما هو مستقبل مثل هذه الحياة؟ وما شكل الغد؟ وإلى متى يستمر هذا الوضع وهو بلا وضع.. ومن الذى يتعين عليه أن يبدأ مشروع الإصلاح والضبط قبل كامل الانهيار.

خلال الأيام الثلاثة التالية زرع القاهرة طولا وعرضا. زار معظم الأماكن التى تمنى رؤيتها وشاهد المزيد من الأفلام .. وإحدى المسرحيات وبرج القاهرة وتمشى على الكبارى فى الليل وسلم نفسه طويلا للنيل وسحره الغريب: لا شىء على الإطلاق من هذا الجمال فى بلدنا الفقيرة التى تغرق فى الغبار والثرثرة والملل.

فى الليلة الرابعة استيقظ من عز النوم على طرق عنيف.. كان رجال الشرطة يبحثون عن رجل حاول الاعتداء على فتاة فى أحد بيوت حى عابدين، قاومته بشدة حتى أصيبت بأزمة قلبية وماتت منذ أربعة أيام.. قال صاحب اللوكاندة إن ساكنا لديهم وصل منذ أربعة أيام وبوجهه جروح كثيرة.

جره رجال الشرطة إلى القسم للتحقيق.. سألوه وأجابهم، عادوا يسألونه فأقسم لهم.. لم يصدقوه وألقى فى الحبس ثم رحل فى اليوم التالى إلى سراى النيابة. بعد يومين أطلق سراحه بعد أن قبضوا على

الجانى واعترف بفعلته.

مر على الحلاق. شذب بقايا شعره وحلق ذقنه. عاد إلى الفندق. أخذ حماما ساخنا.. كان ظهره لا يزال قابعا فى المرآه.. جمع ملابسه وغادر الفندق عازما ألا يبقى فى القاهرة ساعة واحدة. بدا عليه الانزعاج الشديد وتأثره البالغ من سوء معاملة الشرطة. لم يفته أن يلكز صاحب الفندق بكلمات قاسية تنبهه إلى قلة أصله ورحم الله السابقين.

عندما توقف الميكروباص على الطريق السريع بمحازاة بلدهم وهبط منه، كان المساء هو الأخر يهبط معه. تمشى بين الغيطان وتسلل إلى منزله.

طوح الحقيبة على الكنبة، مضى إلى المطبخ، وضع براد الشاى على النار.. أشعل سيجارة، خلع ملابسه. ارتدى الجلباب، عاد للبراد. فتح الراديو.. كانت أم كلثوم تشدو بصوتها القوى الصافى النافذ فى آفاق المساء الناعم.. لسه فاكر قلبى يديلك آمان، ولا فاكر كلمة ح تعيد اللى كان. ولا نظرة.. توصل الشوق بالحنان.. لسه فاكر. كان زمان.

كان طيف الديك يطارده. هو.. ليس غيره من أفسد حياتى وهو.. ليس غيره من يتعين الخلاص منه، ولن تكون هناك أبدا أية راحة طالما هو على قيد الحياة.

حدثه أخوه فتيحه وحدثته أمه عن ضرورة عودة محبات.. قال:

- هى التى ذهبت وعليها أن تجىء

قال فتيحة :

- لا داعى لأن نصبح مضغة فى أفواه الناس

أكد رشوان أنه لن يذهب مهما حصل.. أخذ فتيحة أمه وأخته فوقيه

لإعادة محبات.. بكت محبات وقالت:

- لقد ضربني، ولن أنسى له ذلك

قالت أم رشوان: قبل الولد كنتما سمنا على عسل، ولما جاء الولد يحدث ما يحدث

قالت محبات: أنا لا أعرف ماذا أصابه.. لقد تغير.. أصبح عصبيا..

قال فتيحة : آخر مرة شفته. كان ليلة السبوع.. كانت الدنيا لا تتسع لفرحته.. قالت محبات وهى تعاود البكاء: وأيمانات المسلمين ما جرحت إحساسه بكلمة، ولا قصرت فى أى شئ.

طيبوا خاطرها وحدثوها عن العشرة وكلام الناس.، طال الحوار وفى النهاية تدخلت أمها إلى جانبهم.. كلمة من هنا وكلمة من هناك.. قامت محبات وعادت إلى دارها.

لم يكلمها رشوان. اكتفى بالصمت ونام فى الحجرة الجوانية.

ظهر الديك فى اليوم التالى عند أم محبات. تناهت إليه الأخبار أنها غضبانة وعند أهلها. دخل يبحث عنها. لم يجدها.

بعد يومين فوجئت به محبات وهى خارجة من المطبخ ينزل عليها من السطح.. أذهلتها المفاجأة.. كانت قد أوشكت على الاعتقاد أنه رحل نهائيا عن القرية من تضارب الآراء وكلام أولاد العمدة.

هللت فرحة به. عانقته بحرارة وعانقها.. ضمها وأسكنها صدره طويلا.. أسبوعان ويزيد لم يلتقيا.. لحظات فى عناق صامت دافئ مشبوب، ثم تركها. استدار إلى حجرة النوم. انحنى على الطفل. تأمل عينيه وجبهته. تحسس بمنقاره يده الصغيرة الطرية.

مضت محبات إلى المطبخ تقشر البصل.. استغرق الديك فى مداعبة الطفل.. سمعت فجأة بكاء ولدها. خرجت وبيدها السكين لترى ما الذى يبكيه. طالعها رشوان داخلا. امتقع وجهها. التقطت عينه اليقظة مشهد الديك فى حجرته. جن جنونه. اندفع نحوه. قبض على عنقه.. الولد يصرخ. الديك . يحاول الخلاص. رشوان بجسمه الثقيل وقلبه المفعم بالألم يكاد يركب على الديك. ذراعاه جاثمة على ظهره ورقبته. قبضتاه تضغطان بقوة على حلقه.. بدا واضحا أنها نهاية الديك لا محالة، وأن روحه على وشك الطلوع.. محبات تصرخ فى رشوان:

- حرام عليك.. أرجوك. اتركه.. لماذا تقتله؟. لم يضرنا بشئ يا رشوان.. أرجوك.

أخذت تخبط على ظهره وتجذبه، لم يكن فى عالمها.. كان فى عالم آخر.. هذه هى اللحظة التى ينتظرها منذ أسابيع.. لقد حول حياته إلى جحيم. لن تتاح له فرصة أفضل من هذه.. هو الذى أدخله السجن ومزق وجهه وتسبب فى إهانته وسوف يتسبب فى المزيد.. أخذت محبات تجر زوجها بيد واحدة. فكرت أن تجره بيديها الاثنتين اكتشفت أن اليد الثانية تقبض على السكين.. كان رشوان جبلا ثقيلا. سمعت حشرجة تخرج من حلق الديك.. لم تشعر بنفسها وهى تدس السكين فى ظهر رشوان.

سقطت ذراعاه واستدار ذاهلا يحدق فى زوجته. سقطت السكين من يدها وانطلقت تصرخ وترتعد، بدت كأنها مصابة بحالة هستيرية.. لقد أفلت الزمام وتبدل الموقف ولم يعد أى طرف قادرا على فهمه.. الطفل يصرخ والأم تولول وترتجف والديك اختفى من حيث جاء.

فتحت باب الدار وواصلت صراخها.. اندفعت جموع الناس ليتلقوا

محبات وهى تتهاوى مغشيا عليها.

حمل الجيران رشوان الذى ينزف بغزارة إلى الخارج. حضرت سيارة أجرة يملكها أحد أبناء القرية. حملت الجريح إلى مستشفى البندر المركزى. عند بوابة المستشفى لفظ رشوان أنفاسه.

سأل الضابط محبات عن وقائع الحدث وأسبابه وظروفه، وهو يفتش فى وجهها. هل ما تكسوه هى علامات الذهول والرعب، أم انفعال عاطفى محنك؟

كم صرخة عليها أن تطلقها كى تمنح المصيبة حجمها اللائق؟

كم دمعة يجب أن تسفحها، لتسكب على المشهد دماء الحقيقة؟

ما الذى يمكن أن تبذله حتى يتفجر الصدق في العيون المتطفلة، والعقول المحشوة بشفرات الظنون؟ .

كيف يجب عليها أن تحذق الكلام؟

كيف بإمكانها أن تسبك قصة تصلح كى تكون صكا للبراءة؟

تمالكت نفسها.. قالت وهى تفزع مع استعادتها لما يفترض أنه قد حدث:

– جاء زوجى ومعه شخص لم أره من قبل. قدمه لى على أنه صديق تعرَّف عليه مؤخرا فى القاهرة. فجأة اختطف الرجل مطفأة السجائر وضربه بها على رأسه.. يا نهار أسود.. جريت إلى المطبخ.. أحضرت السكين. وجدت المجرم فوق زوجى يفتش فيه.. هجمت عليه بالسكين. أمسك ذراعى وأخذ يلويه. ضربته فى وجهه. تقلب رشوان.. المجرم خطف منى السكين وضرب رشوان فى ظهره. صرخت.. خرج يجرى..

- لماذا كان يفتش زوجك؟

- لا أعرف

- صفى القاتل

- أطول قليلا من رشوان. يلبس قميصا وبنطلونا. له شارب أسود وشامة على يمين ذقنه

- سنه

- فى حدود الخامسة والثلاثين

- لو شفته

- أطلعه من وسط ألف

لم يستطع رجال الشرطة التحقق من شخصية الجانى. كانت السكينة مبتلة وبها عدد من بصمات محبات، وهذا طبيعى لأنها هى التى أحضرتها من المطبخ.

رددت نفس الإجابة بالحرف فى النيابة.. وكررتها مرة ثالثة وبالحرف بعدها بشهر أيضا فى النيابة، ثم حفظ التحقيق لعدم كفاية الأدلة ضد محبات أو هكذا قيل لها.

كعادتها استمرت الحياة، وجفت الدموع فى المآقى، واستجاب البشر لدعوة الحياة، فأكلوا وشربوا.. وعملوا وناموا.. صعدوا وهبطوا. سافروا وعادوا وباعوا واشتروا وأحبوا وكرهوا، ثم كرهوا من أحبوا، وأحبوا من كرهوا وانصرفوا خلال كل ذلك وبسبب كل ذلك عمن رحلوا.

أصرت محبات أن تعيش وحدها فى الدار، خاصة بعد أن جاء الملك واستقر معها. عادت الزيارات السياحية بنفس النظام القديم.

كانت مفاجأة طيبة لمحبات أن طرق على بابها طارق. لما فتحت وجدت أمامها حسن الرشيدى وقد وضع تمثالا ضخما للديك على عربة كارو، كان ارتفاعه يصل إلى ثلاثة أمتار.. ديك رائع ومهيب.

أرسلت إلى أخيها ياسر ليساعدها فى جمع الطوب الأحمر من الفناء الخلفى ومشاركة الرشيدى فى بناء قاعدة للتمثال داخل الفناء.. حضر بعض الرجال لإنزاله ووضعه على القاعدة.. جذب الديك الجديد المزيد من الراغبين فى الزيارة، ومع الوقت زادت الإيرادات.

## (١٤)

هناك نساء لا تظهر عليهن أعراض الحمل إلا فى الشهر الخامس، تصبح بطونهن ملفتة للنظر.. وهناك نسوة يمكن لأى عين عابرة أن تلمح بروز بطنها وهى فى شهرها الرابع، فى الوقت الذى تبقى فيه بطون شابات صغيرات حتى الثامن صغيرة الحجم لا تتجاوز كثيرا سيدة فى الرابع.

شرعت العيون تلحظ بعض الريفيات الحوامل. إذ إن طبيعة حياتهن لا تسمح لهن بأن يقرن فى بيوتهن كل الأيام. أغلبهن يذهبن إلى الحقول وإلى الأسواق وإلى النهر حاملات السطول والجرار، ومنهن اللاتى يحملن الأوانى لغسلها والملابس.

شرعت البطون فى البزوغ تدريجيا.. وشرعت المشية فى التغير.. السيقان تتباعد والظهور تتراجع، والسرعة تخف. بعضهن طلبن الراحة واعتمدن على الأصغر سنا.. بدأت الألسنة تتسابق مع العيون فى اكتشاف المجهول وفى رصد المستجدات..

إن النساء اللواتى حملن معا، أنكرن جميعا أنهن يعرفن شيئا عن الفعل والفاعل.. هكذا.. وحدها البطون اتخذت شكلها المتنامى!!

الأمهات لاحظن سلوك بناتهن وسألنهن، والرجال لاحظوا زوجاتهم وسألوهن. والبنات لاحظن سلوك أمهاتهن وعماتهن وخالاتهن واكتفين تأدبا بالمتابعة وأسئلة العيون والدهشة والتظاهر بالجهل.

لكن الأمر كان مزعجا للأمهات حقا وهن يرين بناتهن تحكين عما يشعرن به، وعما يلاحظنه من تغيير ويلمسنه من أعراض جديدة. الطمث لديهن جميعا توقف.. وبدأ الوحم والطلبات والأمنيات، وظهرت حالات القئ والغثيان وقلة المجهود واستمرار النوم.

أول من اكتشفت ان ابنتها حامل كانت فهيمة زوجة اللحّاد.. كانت فى البداية قد اكتشفت حملها هى، فكتمت الخبر عن زوجها وهو ابن عمها، لأنه طلب إليها ألا تنجب مرة أخرى. يكفى أن لديها سبعة أكبرهم تزوج، ويعيش معهم فى نفس الدار ويعوله أبوه. وقد حملت زوجته هى الأخرى.. هذا أمر لا غضاضة فيه ويتسق مع حالة العروسين.

لطمت فهيمة خديها وقامت على البنت بعد أن تأكدت من المصيبة فضربتها بيد المقشة، وهى تسألها فى جنون:

- من يا بنت ... من؟.. ردى..

قالت البنت الصغيرة: لا أعرف يا أم، والختمة ما أعرف علمت فهيمة أن ابنتها البكرية المتزوجة، قد حملت هى الأخرى لثانى مرة، فلم تهتم، ولاحظت أن جارتها أم نوال حملت وزوجها فى ليبيا منذ سنتين.

قالت زوجة المسافر لما اكتشفت الأمر

- يا مصيبتى.. لا أغضبه فى غربته أبدا

كما ساعدتها أم حنفى ساعدت نساء كثيرات. كان الحمل بالنسبة لهن كارثة، ومنهن من أسقطن الحمل خارج القرية، سواء فى بلاد مجاورة أو بلاد بعيدة، أو فى الغيطان والزرائب، واضطرت القابلة لكثرة العمل وصراخ المنكوبات الاستعانة بأختها فوز فلديها بعض الخبرة السابقة وقد توقفت منذ سنوات بعد أن مات جنين فى بطن أمه ولم يرحمها أبوه.

فى البداية لم تنتقل أخبار هذا المهرجان الكبير من الحمل إلا إلى النساء أنفسهن. لم يعد لهن غيره حديث. نسين تماما كل الموضوعات التى اعتدن أن تشغلهن. لم يتحدثن عن مشاكلهن مع الرجال وطباع الرجال واستبدادهم الفارغ، ولا عن أسعار الحبوب ولا ارتفاع المهور وغلاء الملابس ونقص القطن اللازم للتنجيد، ولم يعدن يتحدثن عن تربية الدواجن ولا عن أنواع الطعام أو مرض فلان وحرقة قلب فلانة على ابنها الخايب، ولا حتى عن الشهادة الكبيرة التى حصل عليها فلان ابن فلانه ولم تعد تمثيليات الإذاعة تشغل بالهن، لكن الشاغل الأول والدائم هو من التى حملت وممن وماذا فعلت؟

الكل تناقل أخبار الكل، كى يخفف عن نفسه وقع مصيبته، والمعرفة تبدأ من الجيران الذين تتاح لهم فرصة رؤية البنت أو المرأة التى تبقى فى دارها لا تبرحها.

ثريا زوجة البنا لما حملت أختها وسلفتها وبنت سلفتها، فكرت فى جارتها سليمة وابنتيها.. ما بالها ترى الأولاد الذكور وترى الأم ولكن لا ترى البنتين، مع أنهما كانتا دائما تخرجان.. الكبيرة إلى النهر أو الغيط والصغيرة إلى المدرسة.

نهضت من فورها وطرقت الباب.. طلعت لها الصغيرة فسألتها عن مفراك الخبيزة لأن مفراكهم انكسر.. أحضرت لها المفراك فسألتها عن أختها. فهمت البنت.. قالت لها: عند عمى فى طنطا .. عادت ثريا تدقق فى بطن الصغيرة.. كان الجلباب فضفاضا لم يكشف عن شىء. مصمصت شفتيها وهى تتمتم:

- بكره المستخبى يبان

لم يفتها أن تلاحظ كما لابد لاحظت غيرها أن النسوة كلهن لبسن جلابيب فضفاضة.

الشاويش الطويل عسكرى البوليس. حملت أمه وحماته وأخته وزوجته وأختها.. العجل أبو شوارب سائق الميكروباس حملت زوجته وابنتاه وعمته العمشة وخالته.. ناظر المدرسة والفراش الأصلع والوكيل السمين ذو الكرش وعدو الشمس وكامل ذو الأنف الكبير المستدير، والشقيق الأكبر لشيخ البلد والمأذون والحلاق وجساس الحمير والأخنف والضرير ومئات غيرهم شربوا من نفس الكأس.

.. أما سائق السيارة الأجرة فقد حملت بناته السبع، وكلهن لم يتزوجن وكلهن شبه دميمات، مع أن شكله مقبول، لكن زوجته كانت مشهورة بالقبح، والأغرب من هذا أنه كان يميل إليها منذ الصغر، ولم تحمل مع من حملن.

الكفر كله انتفخت بطون نسائه وبناته. الرجل أصبح يتجنب الرجل وكذلك الشباب، انعدمت أو كادت أنشطتهم المشتركة وألعابهم وسهراتهم وأحاديثهم، واختفت ضحكاتهم التى كانت تتعالى من المجموعات التى لا تنقطع لقاءاتها طوال الليل، وفى الظلام الدامس يتحركون ويصيحون ويضحكون.

يذهب الرجل إلى الدكان ليشترى السجائر أو الشاى أو غيرهما، فيطلبه بسرعة، ويلح فى سرعة الاستجابة مدعيا أنه ترك ولده الصغير بعيدا، أو لأن الحمارة سبقته أو لأن الحاجة تعبانة جدا أو لأنه ترك الضيوف وحدهم فى الدار. يفر بسرعة حتى لا يتعثر فى الأسئلة التى حتما ستلقى عليه بلا رحمة.. لن تكون الأسئلة حول أى موضوع إلا الحمل، لسبب بسيط جدا هو أنه لم تعد هناك أية موضوعات أخرى للحوار.

## (١٥)

لم يلق أحد على الثمار المتدلية من شجر الفضيحة حجرا أو حصاة.. إلا ناظر المدرسة الذى وجه الدعوة للاجتماع فى بيته.. جاء بعض الرجال فى السر ليتدارسوا الأمر. بدوا صفر الوجوه.. ومن كان يثير الضجيج من قبل لم يحس أحد به عند دخوله، ومن كان يفخر ويتيه لم ينطق بحرف. ومن كان يدق بعصاه ليعلم الجميع أنه يمر، لم يدق بها واكتفى بأن يستند إليها. ومن كان يقهقه بسبب وبلا سبب، لم يسمع أحد ضحكاته المجلجلة.. لم تنفرج الشفاه ولم تظهر الأسنان ولم تبرم الشوارب لأنها كانت منكسة.. لم يكن يسمع غير صوت التنفس الذى كان أشبه بحشرجة الاحتضار.

مرت القهوة فتجرعها الجميع فى عجلة. مضى نحو نصف ساعة دون أن يمتلك أشجعهم القدرة على افتتاح الجلسة بكلمة لتتبعها كلمات تشير ولو من بعيد إلى الموضوع.

كان طبيعيا مهما طال الوقت الحائر أن يبدأ ناظر المدرسة.. كانت بداية ذكية من رجل متعلم.

.. وجه اللوم لمن لم يحضر وعلى رأسهم العمدة وشيخ البلد وهذا يعنى أن الحاضرين يتميزون بالشجاعة.. بداية تفتح النفس بعض الشئ.. ثم قال:

- يخيل لى يا جماعة أن هناك وباء أصاب نساءنا، فكل النساء حسب علمي حوامل.

أنكر البعض أن يكون كل النساء.. أطولهم احتج قائلا:

- إلا أمى

وقال سائق الأجرة :

- زوجتى الحمد لله سليمة، لكن ... لكن

وقال ذو الشعر الأحمر :

- للأسف أسرتى كلها أصابها الوباء ما عدا بنت أختى التى تقيم فى المزرعة معظم الوقت

وهنا قال الحلاق :

- علينا إذن أن نعرف الأسباب ونبحث عن الحل.

من جديد وقع الجميع فى آبار الصمت المالحة، إلى أن اندفع السمين ذو الكرش. لم يكن أحد ينتظر أن يتكلم أو يفيد بشئ فى جلسة من هذا النوع.. قال باضطراب تصاحب نبرة صوته رعشة، ربما سببها الرهبة:

- لازم يعرف الصغير قبل الكبير إن بناتنا و.. و.. نساءنا جميعهن ش.. ش.. شريفات، ومهما كا..كان السبب، و.. فهو خارج عن إرا.. إراد.. إرادتهن. وإذا واحد شكك فى واحدة، سيشا.. سيشا.. سيشكك فيهن جميعا.

قال عدو الشمس: عندك حق.. مصيبة وحطت على البلد كلها.. لم ينج منها فرد

كان شيخ المسجد جالسا يسبح ويستغفر ولا يعلق، ومثله كان الضرير

والرجل الذى ينظر كثيرا إلى ساعته، أما ذو الأنف الكبير المستدير فقد قال:

- يجب أن نتكلم بصراحة

قال الناظر :

- ولماذا اجتمعنا إذن، إننا فى أشد الحاجة إلى الصراحة.. اجتمعنا حتى لا نخفى رؤوسنا فى الرمال.

استعاد ذو الأنف الكبير الخيط وقال:

- كلام كثير يملأ البلد، ملخصه إن ديك رشوان وراء هذه الحوادث

قال السمين ذو الكرش:

- هذا ما سمعته

اعترض الضرير:

- كلام غير معقول

قال الأطول:

- وهل حجمه هو المعقول !!

عاد الضرير إلى معارضته:

- أنا غير مقتنع

قال عدو الشمس:

- كان يجب أن يحضر العمدة.. المسألة تخص القرية كلها.. وهو كبيرها

قال الناظر:

- أحمد أبو سلامة دخل عنده وخرج قال إنه غير موجود.

قال الحلاق بحسم :

- هو ديك رشوان ولازم يموت

قال الأصلع بهدوء :

- لازم يموت.. لكن المصيبة تحيط بنا الآن .. فما العمل؟

برز الأخنف من وراء السمين ذى الكرش وقال:

- هل تتصور أن يوافق العمدة على ذلك؟ هو صاحب مصلحة فى وجوده.. الأوزة التى تبيض له بيضا من ذهب.

- والعمل؟

- لابد أن نعرض عليه المشكلة.. ممكن يكون عنده حل

نادى الناظر لولده الكبير.

- بطريقتك وفى السر اعرف لنا.. العمدة فى دواره أم لا انطلق الفتى. سادت فترة صمت.. قطعها سائق الأجرة:

- لماذا لم يحضر شيخ البلد؟. لقد رأيته فى الصباح

الأطول: ألا تعرف السبب؟

سائق الأجرة: لا

ابتسم الضرير ابتسامة خبث وقال:

- لأنه غير مضار .. زوجته الأولى عاقر، والثانية حامل من الأصل وستلد خلال أيام

قال السمين: ليس له مصلحة

استمر الحديث يتبادل أطرافه الرجال بلا نتيجة، وظل الشيخ يسبح ويستغفر دون أن يعلق. ولفت ذلك انتباه الناظر فسأله:

- ما رأيك يا شيخ ؟

عبث الشيخ في ذقنه وتنهد ثم رفع رأسه ونظر لحظة إلى اللاشئ. عندئذ دخل الفتى وقال:

- العمدة موجود

قال حضرة الناظر على الفور: ما رأيكم يا جماعة؟

رد الجميع في صوت واحد: نذهب إليه الآن

بهت العمدة عندما سمع أن الرجال بالخارج.. عرضوا عليه الموضوع بكافة جوانبه وبعضا مما قالوه في بيت الناظر.. طلبوا رأيه.

هز المنشة ذيل الحصان التي لا تغيب عن يده وقال:

- أولا .. نحن مؤمنين

قالوا جميعا :

- ونعم بالله

استشعر أنه بدأ بداية موفقة ضمتهم جميعا في قبضته، فاستطرد:

- لذلك أنا.. أنا.. أظن أنه أمر الله، وديك رشوان لا دخل له أو على الأقل ليس بين أيدينا ما يدينه أو يشير إلى أنه هو الجاني.. لا داعي للانزعاج ، لا تحدثوا لنا هوجة بلا داع.. ولا مبرر للاجتماعات والهيجان، وحتى لو فرضنا إنه الديك. ماذا سنفعل له؟..سنقتله.. نقتله.. وبعدها.. الحاصل الآن أن النساء حملت وكله بأمر الله في الأول وفي الآخر.

صدر من هنا تعليق ومن هناك مثله.. لكن الجميع تقريبا اقتنع بكلام العمدة، وخرجوا من عنده أقل غضبا من ذى قبل، وأكثر إيمانا بالله وبالقضاء والقدر.

بعد أسبوع فوجئ رجال القرية بدعوة عاجلة من العمدة للحضور طرفه مساء نفس اليوم. لما حضروا طلب منهم ضرورة مناقشة الموضوع المهم الذى سبق وحدثوه فيه.. ظل واقفا يروح ويجىء. أبلغهم أنه اكتشف بالأمس فقط أن نساء بيته جميعا حوامل ولابد من التصرف.. لابد أن نبلغ الحكومة ومديرية الأمن ووزارة الصحة والوزير المحافظ وسيادة السكرتير العام

تبادل الجميع النظرات، واكتفوا بالقول:

- الأمر أمرك يا عمدة.. أنت كبير البلد

وهو لا يزال واقفا.. يروح ويجىء ويضرب كفا على كف.. قال:

- أقصد أنكم موافقون على أى إجراء أتخذه، وتفوضوننى للاتصال بكل الجهات المعنية.

وافق الجميع وتسلل إلى نفوسهم ربما للمرة الأولى إحساس بأن جزءا من العبء سوف يُرفع عن صدورهم.. لكن الضرير قال:

- وماذا نفعل فى بناتنا يا حضرة العمدة؟

ضرب العمدة قبضة يده اليمنى فى راحة يده اليسرى وقال:

- هذه هى المشكلة.

قال عدو الشمس: المشكلة إن موعد الإجهاض فات

قال العمدة بعد لحظة صمت: ليس هناك من حل إلا أن يتولى كل أب رعاية حفيده من ابنته غير المتزوجة.. كل فرد يشيل همه، مادام يؤمن إنه

أمر الله، ويخطب الشيخ التلاوى والشيخ برهام فى مساجد القرية مؤكدين أن بناتنا شريفات وإن ما حدث يشبه الطاعون.. شئ فى الجو.. نقله الهواء

قال الأخنف: أنا قلت هذا يا عمدة

قال العمدة: والله براوه عليك يا وله.. ومن رأيى أن تبدأ البلد فى وضع زيتها على دقيقها.. يعنى عقد اتفاقيات لتزويج هؤلاء البنات من شبان البلد.. وكلنا أهل.. بالمناسبة أنا عندى ثلاث بنات.

كح الشيخ فصمت الجميع اعتقادا أنه سيقول شيئا.. كح ثانية فصمتوا، وبالفعل بدأ يبلع ريقه ويحرك لسانه استعدادا للكلام كما يفعل دائما.. وكان قد ظل طوال الاجتماعين صامتا.. قال:

- لا أستطيع أن أقول ذلك على المنبر ولا أظن الشيخ برهام سيقول شيئا من هذا.

اندفع الرجل الذى ينظر كثيرا فى ساعته: لازم تقولوا.. إن بناتنا شريفات.. لازم.

أيده ذو الشعر الأحمر صارخا فى الشيخ.. تدخل العمدة وقال:

- واحدة واحدة يا جماعة.. قل لنا يا شيخ حامد هل أنت تشك فى أحد

ظل الشيخ صامتا، فقال العمدة:

- انظر يا مولانا إننا سوف ندخل إلى فتنة لا تبقى ولا تذر، وأنت عندما تقول ما أطلب منك قوله.. أقصد الذى نطلبه جميعا منك.. إنما تحقن الدماء وتحافظ على الوحدة الوطنية وتجنب البلد مشاكل كبيرة

كان الناظر قد لاذ بالصمت طويلا، ولما رأى حالة الشيخ وصمته البركانى قال:

## (١٦)

واصلت البطون التقدم للأمام، مضت تكبر وتكبر، وعندما دنت من تمام شهرها السابع شرعت النسوة يشكين من ضربات فى البطون وآلام فى الظهور. بدأن فى التوجع والتأوه، وزاد الألم تدريجيا مع تضخم الثقل الرابض فى الرحم، ثم دخلن تدريجيا مرحلة الصراخ.

انفتحت الأبواب وجرت العيال فى الشوارع تنادى القابلة وأختها وتنادى أى سيدة كبيرة فى السن، لعلها تساعد ولو بالرأى.

لم يستجب مدير مديرية الصحة لطلب عمدة القرية أن يبنى مستشفى ولادة طوارئ على شكل مخيم يتسع لمئات الحوامل توشك كل منهن أن تضع وليدها. تحدث إلى المحافظ واستعان عليه بأعضاء مجلسى الشعب والشورى والحزب الوطنى بلا فائدة

أخيرا قرروا إرسال بعثة من عشرين طبيبا متخصصا فى أمراض النساء، ومثلهم من الممرضات وعدة أطقم توليد لإنجاز المهمة على أرض القرية وفى بيوت أصحابها.

خصص العمدة للأطباء دارا من دياره، واستقبل شيخ البلد الممرضات فى دار أخيه المسافر.

عرف الصحفيون الخبر، فقدموا بآلات التصوير وأجهزة التسجيل ولحقت بهم الإذاعات ومراسلو وكالات الأنباء العالمية والقنوات

- أنا من رأيى أن يظل الموضوع بعيدا عن المساجد.

قال ذو الشعر الأحمر: على الأقل يدعو لنا الله أن يخرجنا من هذه المصيبة التى لا كانت على البال ولا على الخاطر.

وهنا قال الشيخ:

- لكى تخرجوا من المصيبة ارجعوا إلى الله.. بالإكثار من الصلاة والصدقات وفعل الخيرات والدعاء، وأن يهتم الغنى بالفقير، وتقام الموائد للجميع أيام الجمعة.. هذه هى القربات إلى الله.. لعل وعسى وفرج الله قريب.. «يا أيها الذين آمنوا لا تقنطوا من رحمة الله..»

توقف الجميع فجأة بعد أن اقتحم القاعة خفير يزعق:

- الحق يا حضرة العمدة .. حسن انطخ

- حسن من يا خفير الشوم؟

- حسن الرشيدى

- من الذى قتله؟

- لم نلحقه

- هرب؟!

ساد الهرج لما بلغت الحاضرين ولولة النساء. تدافع الجميع نحو باب الخروج

صفق العمدة بيديه. جاءته زوجته تمشى على مهل وتلقى أمامه فردتى حذائه. قالت:

- ابن الرشيدى كان على علاقة بنجوى ابنة راغب بك

لملم العمدة أطراف عباءته وهو يضع قدميه فى الحذاء، وقال:

- نقطينا بسكوتك

لحقت به كلماتها قبل أن يختفى ذيله عن عينيها:

- أنت لا تعرف شيئا مما يجرى حولك يا عمدة.

التليفزيونية لرصد الحدث العالمى الكبير.. مئات النساء على وشك الولادة فى وقت واحد تقريبا

استعد الأطباء والممرضات للحاق بأى حالة يبلغ أهلها أنها توشك على الوضع، وسرعان ما تعالى الصراخ وتوالت الدعوات وأسرع الأطباء ملبين النداء.. كل طبيب معه ممرضة. يقوم بالفحص وبحث الحالة ويأمر بتجهيز ما يريد من فرش نظيف وماء ساخن وإضاءة كافية وملابس نظيفة وقطن وصابون..

القرية خلية نحل.. يحدث فيها كل شىء فى الدنيا فى وقت واحد. الكل يجرى ويتحدث ويدعو الله ويحمل أشياء. يطبخ ويأكل ويشرب وينادى ويسهر وينام ويقع من طوله.. يموت .. يحيا.. يولد.. يمرض.. ينزف.. يصرخ.. يبكى.. يضحك.. يفرح.. يدهش.. يضرب كفا على كف.. يلطم خديه. يغشى عليه. يحمد الله.. يتبادل الجميع الأشياء.. تسرع السيارات إلى البندر لتحضر أشياء. تنسى بعضها وتتذكر بعضها.. تعود إلى المدينة.. الليل يهبط.. يجهز الرجال الكلوبات. ذكر الله لا يبرح الألسنة والقلوب.. النظرات تتنقل بين الأمهات والسماء.. قرية بكاملها تلد حتى الرجال.. يخرج البعض نقودا كان يخفيها لوقت حاجة.. ويبيع البعض شيئا مما يملك، ليشترى على عجل وبأى سعر ما يلزم للحفاظ على حياة الوالدة والمولود.. كل النساء الحوامل ينمن على الأسرة والأفران التى غطتها البطاطين والملاءات. كل الرجال والعيال يتمددون على الأرض وفوق أكوام التبن والسباخ وفوق الأسطح، ولا يسأل أحد عن أحد، ولا يسأل أحد عن طعام أى شخص يأكل من أى مكان.. البيوت الميسورة أعدت الصوانى وأخرجتها أمام الدور. حطتها على

المصاطب ليأكل من يريد. بعض الأطباء ساعد فى توليد بقر وجاموس ومعيز تصادف وضعها مع البشر.

كل المواليد تقريبا لم تبق فى الأرحام غير سبعة أشهر.. القرية كلها تلد خلال أسبوعين فقط

سوّد الصحفيون مئات الصفحات بالأخبار ووصف الوقائع والطرائف والحوارات. أسعد اللحظات وأتعسها.. الحالات الخاصة. الأسماء المقترحة.. إحصائيات مختلفة..

كانت هناك عشر حالات ولادة فى بيت العمدة وحده، عنده أقام الديك أطول مدة، كانت بناته يخفونه ولم يعرف العمدة بأمره إلا بعد أسبوع وبالصدفة.. هدد العمدة بأنه ينتظر فقط رؤية المواليد، ولو تأكد أنها تمت إلى الديك بأدنى شبهة لقتله فورا ولن يمنعه أحد من ذلك ..

لما رأت المواليد النور. فتش الأهل فيها. كان من اليسير إدراك علاقتها بالديك.. ليس إلا القليل منها يشبه أمهاتهم، والكثير منها يشبه ولد محبات، وهناك من له لوزتان تحت ذقنه، ومن بيده ثلاثة أصابع أو أربعة، ومثلها فى قدمه.. الجميع اتصلت أذرعهم ببطونهم بغشاء جلدى عريض كالأجنحة لا ينقصه إلا الريش، ومنهم من بجسده شعر أصفر وأسود وأبيض.

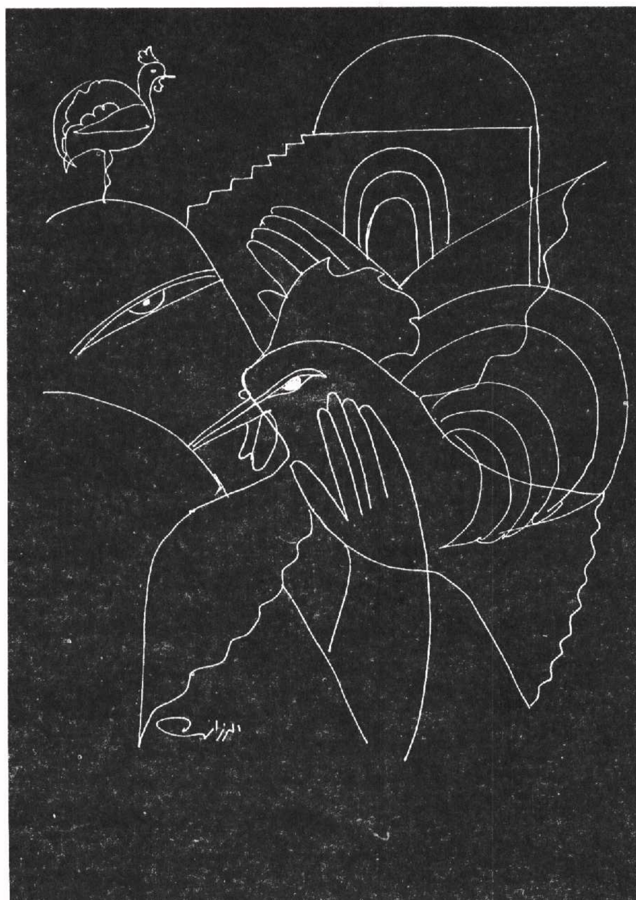
تجمع الرجال بعد أن أيقنوا بأن الفاعل واحد ووحيد ومحدد، احتشدوا أمام دوار العمدة، وكل منهم يحمل عصا غليظة.. كانت إحدى بناته قد ولدت والتمس ملامح الديك فى المولود فوجده بقوة.. نزل العمدة جاهزا.. كان يحمل بيده مثلما يحملون.. عصا غليظة، عازما على أن يضرب بها الضربة الأولى ليدشن عملية الضرب الكبرى.

علمت محبات بما عزم عليه الرجال. أسرعت إلى دارها. قالت للديك: إن أهل القرية يأتمرون بك وقد صمموا على قتلك ، فهيا بنا نهرب

خطفت كيس نقودها وتسلقت السور الخلفى للفناء. سبقها الملك إلى النزول فى الجانب الآخر ليحملها عندما ترقى السور. رفضت وتدلت فهبطت.. ركضا قدر طاقة محبات التى حملت وليدها الثقيل.. قطعا الحقول حتى بلغا الطريق السريع. كانت السيارات تعدو فى اندفاع مجنون لا تلتفت لعابر.

أشارت إلى سيارة ميكروباص، لم تأبه بها أية سيارة لعدة دقائق، ثم وقفت واحدة.. قبلها قفز الديك فوق سقف الميكروباص وكانت حائرة كيف يتسنى له الركوب. دخلت وطفلها السيارة التقطت أنفاسها أخيرا بعد نجاح المحاولة المبكرة للهروب. تركت القرية ورجالها الذين أجمعوا أمرهم على إلحاق الضرر بأنيسها الوحيد. كان السائق والركاب يعبرون عن دهشتهم لمنظر الديك!. لم تعرهم أى اهتمام.. هدأ قلبها.. وتمكنت أن تلقم الولد ثديها وتفكر فى المكان الذى سوف يسعها والديك.. ردت على نفسها بسرعة.. أى مكان.. المهم أنى لن أفرط فيه أبدا ولن أسمح باغتياله.. لم يعد لى غيره.. يجب ألا يعرف أحد من أهل القرية مكاننا، فهم فى الأغلب لن يتركوه.

لحظات واهتزت العربة بقوة. رفعت رأسها قليلا وكانت تتابع بين الحين والحين ظل الديك على الأرض وهو مرتبط بظل السيارة المندفعة إلى البندر. كانت الشمس قبل الغروب لا زالت تسقط على كل شئ.. صرخت فى هذه اللحظة وخطفت ثديها من فم الطفل وهى ترى الديك يطير بعيدا..



صرخت فى السائق كى يقف. وضعت الطفل على مقعدها. صرخت فيه مرة ثانية وبقوة. توقف.. أسرعت تجرى فى إثر الديك.. تصرخ وتناديه :

- ارجع يا ملك.. ارجع يا روح محبات.. عُدْ إلىّ يا روح محبات

ماض فى سبيله الملك. يرفرف بقوة ويتجه شرقا فوق الحدائق والحقول نحو عالم آخر وقرى أخرى.. وظلت محبات تصرخ بينما الملك يبتعد ويبتعد.. يتضاءل ويتضاءل حتى لا تكاد تبدو منه غير حركة أجنحته حتى تلاشى فى الأفق البعيد.

ظلت تجرى وراءه وتسقط فى برك وتراب وطين وتصطدم بشجيرات صغيرة.. تنادى :

- ارجع يا روح محبات .. يا روح محبات..

تقع وتنهض وتصطدم بالناس والشجر والحجارة، تتعثر وعيناها على الأفق البعيد الذى ابتلع روحها وغاب فيه الملك.

تجرحت قدماها وتمزقت ملابسها وهى تجرى ولا تعترف بأنه ابتعد أو اختفى ولا تقر بعجزها أو بعد المسافة بينهما.. وتثق أنها لو واصلت النداء والسعى خلفه سوف تلحق به وتستعيده.

مضت تجرى وتتخبط وتنادى.. تخوض فى المياه وتجتاز الحقول وتدوس على تراب أوحلته دموع فجيعتها..

علت فى السيارة صيحات الاستياء والدهشة. لقد طال انتظارهم لأم الولد. نزل أحد الركاب. مسح الطريق بعينيه. لا أثر لها ولا لغيرها. ليس على الطريق إلا السيارات المسرعة.

توالت التعليقات الحائرة. السائق يود أن ينطلق. ماذا سيفعلون

بالولد.. كان واضحا أنه مأزق متشابك وحرج.. مضى الحوار بين الركاب متخبطا.. السائق يسب كل شئ.. الجميع مكبلون. اقترح أحد الركاب ترك الطفل على قارعة الطريق. صرخوا فيه.. واتهمه أحدهم بالجنون وسبه صاحب الاقتراح فقام الرجل وهجم عليه.. حال بينهما الركاب. أبدى الجميع رغبتهم فى مواصلة الرحلة. رجل يلبس بدلة كاملة زعق مطالبا بالتحرك. لقد ترك عمله لأن أهله أبلغوه بأن زوجته تعانى من ولادة متعثرة. قال آخر إن عليه حضور جنازة عمه وثالث قال إنه ذاهب لاستقبال ابن اخته القادم من دولة عربية ولا يعرف دارهم التى انتقلوا إليها. قال رابع إنه حجز لأمه عند طبيب مشهور وها هو قد تأخر عن موعده.. واصل الحوار التخبط فى وحل الرغبات الملحة وكلها ترتبط بوتد واحد هو .. الولد

كان طريق الخلاص تقريبا شبه مسدود، خاصة بعد أن شرع الطفل يبكى، ويعلو تدريجيا صراخه.

دمدمت من بعيد دراجة نارية، دنت وفوقها شرطى. أوقفه السائق وعرض عليه المشكلة. قال الشرطى :

- لولا أنى فى مهمة سرية وعاجلة لذهبت للبحث عن أم الولد السائق: المشكلة فى الطفل، أنا أريد أن أمضى لحالى.

الشرطى: سلمه إلى أقرب قسم

السائق: أنت تعرف أنهم لن يقبلوا طفلا رضيعا، وهو كما ترى لا يتوقف عن الصراخ

سأل الشرطى: ولماذا نزلت أمه من السيارة؟

السائق: كانت تجرى وراء ديك

الشرطى: وأين كان الديك؟

السائق: فوق السيارة

الشرطى: فى القفص طبعا

السائق: لا .. كان وحده

الشرطى صرخ فى السائق: كيف توافق على وضع ديك وحيد أعلى السيارة؟

السائق: إنه ديك ضخم، فى مثل حجمى على الأقل

نظر الشرطى إلى السائق باستنكار وقال: ديك فى مثل حجمك..!

- نعم .. أقسم لك

- هات رخصك

- يا حضرة الصول أقسم لك

- هات رخصك

تنهد السائق وقال: سنية السبب.. الله يخرب بيتك يا سنية

سأل الشرطى: هل أسمها سنية؟

قال السائق فى ضيق: سنية.. أمى

- وما علاقة أمك

- دعت علىَّ قبل خروجى من البيت

- لابد أنك تستحق.. خلصنى.. هات الرخص

أحضرها السائق. فحصها الشرطى. يبدو أنها كانت سليمة.

أعادها إليه قائلا وهو يدوس بنزين دراجته فيصرخ الموتور كأنه يهدده

- ابق هنا حتى آتيك

انطلق نافثا دخانا أبيض. فى حنق شديد تابع السائق الشرطى فوق الدراجة وهو يتلوى على الطريق، وعاد يسب سنية.

ظلت المشكلة جاثمة فوق مصائرهم بينما المساء يتمشى هابطا فى اتجاه الأرض.. طلب أحدهم من إحدى الراكبات أن تحاول إرضاع الطفل. اعتذرت لأن صدرها خال من اللبن.

فى فورة الغضب الهستيرى التى استولت عليه فجأة، تقدم السائق من الطفل. حمله ووضعه على التراب بعيدا عن الأسفلت. أقسم ليتركه، وأسرع إلى موضع القيادة.. ثار الناس، وهددوه بإبلاغ الشرطة برقم السيارة.. ضرب المقود بكفيه :

- رسونى على بر.. بنت الكلب تركت ولدها، وأنا وأنتم وراءنا مصالح .. ما العمل؟

زعق وسب الدنيا جميعها وبح صوته وكاد يبكى من الحيرة والسخط. نزل أحد الركاب ورفع الطفل عن الأرض وأخذ يربت عليه..

- أنا ممكن أحل المشكلة

توجهت العيون والأبدان والأعصاب إلى مصدر الصوت. كان فتى يقبع فى قاع العربة.. اكتشفوا كم هو ضئيل الجسم جدا.. كلهم رددوا فى نفس واحد.. كلمة واحدة:

- فى عرضك

بهدوء الذى درس المشكلة من جميع نواحيها قال:

- نحن نعرف أين ركبت أم الولد

قالوا جميعا وبحماس: نعم

- ونحن لا نعرف إلا أن معها ديكا كبيرا جدا

قالوا جميعا : نعم

- أنا لست فى عجلة من أمرى.. أنا سأحمل الولد إلى قريته وأسأل عن أهله بهذه الأمارات

صرخ السائق: يكون لك ألف ألف شكر

وقالت سيدة مسنة: يحميك يا بنى

- أطلب أولا أن تعيدنى إلى هناك.. نفس المكان الذى ركبت منه.

- من عينى

- وليس معى نقود

- لا تدفع الأجرة

- أريد أجرة ركوبى فى العودة

- جنيهان تكفى

- تكفى

قال زوج السيدة:

- وربع جنيه من كل راكب

صرخ الجميع فرحا وكان السائق أعلاهم صوتا.: كان جو السعادة الذى يشيع فى السيارة غريبا. كمية البهجة التى علت الوجوه تدعو للدهشة.

كأنهم كانوا سجناء تحت الأرض منذ أعوام .. مضوا يهللون. ردد السائق بعض الأغنيات المشوهة بصوته الأجش الخشن.. ما كل هذا الهم الذي أزاحة الفتى الصغير الضئيل. أهكذا تتعقد الأمور وتستبد بالناس وتمسك برقابهم وأرواحهم، ثم يحلها شخص، هو فى العادة زاهد أو بسيط غير متكالب. ها هي السيارة المحملة بالبشر من كل صنف ومن كل مكان وإلى كل غاية تكاد تطير على الطريق، ترقص وتغنى وتحاول أن تلحق آخر خيوط النور والأمل.

أما هناك فكانت أم الولد تحاول أن تلحق بآخر ريشة يمكن أن تربطها بالمحبوب الطائر والطائر المحبوب. كان يجرها بخيط رفيع.. رفيع، ولما غاب، بقى لها منه الطيف. مضت خلفه طيعة تتبعه، ولما غاب الطيف راحت تندفع فى إثر سكة رسمتها الأجنحة على صفحة الفضاء.

هان عليك الولد.. يا قلبك.. هانت عليك أم الولد.. محبات وواصلت نداءها: يا روح محبات.. عد.. يا روح الروح.

## (١٧)

خرج أخوة رشوان وأخوة محبات يسألون فى القرى التى أشار الفتى الضئيل أنها اخترقت أراضيها بحثا عن ديك ضخم يطير

خرجوا مرات عديدة وكلفوا الأدلة والأصحاب والمعارف من أهل هذه البلاد حتى عثروا عليها بعد أسبوعين ممزقة الثياب، متسخة. شعثاء الشعر وحافية.. بادية الهزال جالسة بالقرب من أكوام القمامة.. هل الجنون هو الوجه الآخر للحب؟ أم هو الوريث الذى لا وريث سواه إذا الحب ارتحل؟

كان منظرها فيما حكى الذين عثروا عليها من أهلها يمزق القلب ويبكى الحجر.. مسكينة.. ذهب عقلها أو كاد.. حملوها إلى دارها وجىء بالأطباء واحدا بعد الآخر، وكانت أمها وأختها تلازمانها ومعهما الطفل، حتى قدر لها أن تفيق تدريجيا وتعى ما حولها، وتفهم ما يجرى وتتذكر وتتخلى عن التوتر الحزين. وتحسنت صحتها البدنية واتجهت تدريجيا إلى صورتها الأولى، مع كثير من الصمت والشرود يغلفان مظهرها وعينيها وقلبها النعسان.. لعدة شهور عاشت على طرف الخبل.

لما تماسكت خرجت إلى الفناء.. جلست على جذع الشجرة ووقعت عينها على تمثال الديك الذى صنعه حسن الرشيدى.. تمثال كبير ومهيب.. أطالت النظر إليه، ولفتت انتباهها زقزقات العصافير على الشجرة. حولت أنظارها إليها، مضت تحدق فيها متطلعة ومتشوقة كأنها تتوقع أن تحمل لها العصافير أخبارا عنه.. أين راح ومن اللواتى غمرته بالقبلات؟ ومن

اللواتى ضمهن إليه. شخص حبيبى كان دائما هنا، حتى قبل أن يجيء ثم اختفى.. اختفى بقسوة لا تليق به حينما كان.. ولا يزال فى عناد يصر على الاختفاء، ورغم ذلك فقد كانت تحلم به يطوف حول مرقدها ويحك أشواقه فى زجاج النافذة.

بدا جليا على وجهها شحوب الفراق وهى تأسى على زمان قد مضى.. لكنها أبدا لا تقبل أن يحرمها من عودته، وهى لذلك تتأهب لقدومه، والعيون دوما مصوبة نحو السماء.. فهل تمضى فى رحلة الحب دونما حبيب. ينغمر قلبها فى نبع العشق كأنه بلا غاية: رحلت.. قلبى وروحى معك.. كان يمكن أن نكمل العمر الجميل معا. فمن تراه غيرك يستطيع أن يشغل موضعك.. إلى أين مضيت؟ قل لى بربك هل فجأة مللتنى وتمنيت الخلاص، وكان الهجوم علينا فرصتك، ما أبشعه من توقيت، وأنا أفر بك منهم لأفوز بك لى ولا نبقى إلا معا.. فى اللحظة التى كنت فيها استمتع بالفوز العظيم والنجاة من كيد الماكرين إذا بك تهدم كل شئ، وتحلق بعيدا ثم تختفى عن عيونى التى تمنت أن تعيش العمر لك.. الحب لك.. ما أجملك.. ما أعذبك.. الويل لك.. ما أفظعك!!

كنت أنوى إعلان زواجنا رسميا، أنا وأنت تضمنا الكوشة وحولنا الأهل والأحباب والضيوف والورد والزغاريد، «وأنت جنبى عريس بحق وحقيق».

قبل أن تهم بالدخول طرقت عليها امرأة من القرية. دخلت .. هجمت عليها تقبلها وتحتضنها وتقول: انت بركة والملك بركة.. ربنا يخليكى لنا.. لم تفهم محبات ما الذى يجرى. أحست أنها لا تزال تعانى من خلل فى صحتها ولم تنج بعد من الصدمة كما يدعى الأطباء والأهل

سألتها عن سر ذلك، قالت المرأة أنها لم تكن تنجب ولما لمست التمثال

دون أن تقصد، أتى الله بالفرج.. وجاءت لها بعد أيام امرأة أخرى حدث لها نفس ما حكت عنه المرأة الأولى

حكت المرأتان ما حدث لهما للنسوة الأخريات، فذهبن من فورهن إلى محبات للتبرك وطلب الكرم..

تحسنت صحة محبات العقلية والنفسية لما رأت ما يحدث للناس، وانعدل حالها بعد أن كاد الخبل يودى ببقية عقلها، ولاحظت كثرة من يقومون بزيارة التمثال، فقررت أن تفيد منها. دعت أخاها ياسر ليزرع لها حول التمثال أشجار الورد والياسمين، وطلبت من سطوحى البنا أن يقيم لها بيتا للتمثال وحده وإلى جواره صندوقا للهبات.

زاد الوافدون للزيارة وتزين جيد الملك بالورود والعقود وأشعلت حوله الشموع. وضع البخور وامتلأ الصندوق وثقل وزنه بما فيه.. أفرغته فى حجرها بالليل وأعادته إلى موضعه، وقبل مضى شهر يمتلئ بالهبات والنذور.

لم يعد يأتى للتبرك بالملك من تبغى الإنجاب، وإنما من يريد أن ينجح فى الامتحان ومن يريد الفوز فى الانتخابات ومن يطلب رضا المحبوب، ومن يود أن يتخلص من خصومة الأشرار، ومن يطلب عملا أو سترا أو صحة، ومن يتمنى الراحة الأبدية لوالديه حتى يرث فى أقرب وقت ممكن.

وكتب الأولاد بخط كبير على سور البيت «هنا يقيم ديك محبات»

بعد سنوات قلدت قرى كثيرة قرية محبات وأقاموا الأضرحة الرمزية للديك المهيب الغريب، ولم يستطع أحد أن يعرف حقيقة النهاية التى آل إليها أمره، والمعروف أن الديك حط ببلاد كانت قد سمعت به فأخفت خبره حتى لا تفقده، وكان منه بعد شهور ما كان فى قرية محبات ثم انتقل إلى

قرى عديدة خاصة قرية أم الشعور التى كانت نساءها يشكين العقم، فكان لها الشفاء على يديه، فعمرت بالبشر الديوك وأقام أهلها له نصبا تذكاريا مرموقا

كان الرجال فى قرية حوش لبنة يقلدون رجال أم الشعور فى كل الأمور، فلما مر بهم الملك وعاش فترة ونعم بمواهبه أهلها قرروا إقامة نصب تذكاري له على غرار ما فعلت أم الشعور.

سمعت بالديك قرية كفر النعناع فسرقه عمدتها، إذ أرسل رجالا على رأسهم حلاق صحة وممرض. توصلا إلى الديك وخدراه بزجاجة تطلق رذاذا مخدرا أحضرها ابن العمدة من دولة متقدمة وحملوه ليلا إلى قريتهم وعاش بينهم ردحا، وانتقل إلى أخرى هربا من نسائها وبعض رجالها، فى القرية الجديدة بقى فترة إلى أن فر هاربا بسبب حوادث قتل جماعية نتجت عن معارك دامية نشبت بين عدد من العائلات .. تناحرت عليه طلبا للاستئثار به..

قرر الملك أخيرا البحث عن عالم آخر.. انطلق إلى السماء.. علا وعلا ميمما وجهه شطر قرص الشمس المودع. ضرب الأجنحة بقوة وواصل الصعود نحو البؤرة البرتقالية المهيبة. كان قرص الشمس يكبر ويحمر ويصفو، تخايل جبينه أطياف الرضا بالنهاية

هبط الديك على القرص. ظل باسطا إلى أقصاهما جناحيه. عانقه. اتحد به. مضت الشمس تهبط فى الأفق البعيد وهى محملة بالكائن الأسطورى الطالع من رحم الأرض.. لم يتسع القرص للجناحين الهائلين فبرزا من الجانبين عن يمين وشمال. وما لبث العُرف الأحمر أن ذاب، وكذلك ذابت اللوزتان. سال نهر أحمر وانتشر على القرص الذى كان يوالى هبوطه فى بحار المدى البعيدة.

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦١٠٣ / ٢٠٠٢

I.S.B.N . 977 - 01 - 8171 - 4

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب